الأنساق الثقافية في مدينة كربلاء المقدسة

دراسة تاريخية (١٩٦٤ - ٢٠٠٤)م

الدكتور

علاء مشذوب

مديرية تربية كربلاء

الملخص

إنَّ ما خلّفته (الكولنيالية) التي جثمت على صدر العراق لأكثر من أربعة قرون هو الأسواق الموحدة للصاغة والقصابين والقماشين والصفارين والعطارين والدباغين والكتبيين، وقد تركز ذلك في بغداد بشكل واضح، لكنه في الولايات أو الألوية ربما كان بعضها متجسدا على أرض الواقع باستثناء سوق الكتب أو الكتبيين، ومن هذه الألوية هي- لواء- محافظة كربلاء، إذ لم يكن لها سوق خاص بالكتاب والكتبيين وبالخصوص في تاريخ العراق الحديث الذي ينعكس بظلاله على المحافظة حيث نجد المكتبات متناثرة في المدينة القديمة وبالتالي يصعب رصد الخط البياني للكتاب ومن يتعامل به ومعه ويتعاطى الثقافة.

The Cultural Sites of the Holy City of Karbala
A Historic Study: 1964 – 2004

Dr. Alaa Mashdhob

Directorate General of Education - Karbala

Abstract

The legacy of colonialism which was imposed on Iraq for more than four centuries had left a unified design of markets for jewelers, butchers, fabric sellers, utensils makers, grocers, tanners and book shoppers. This design can be obviously found in Baghdad, but in the other states or districts the design is almost the same with the exception of the books market or bookshops especially in Karbala as it did not have a specific market for books and bookshops. The lack of such market and the scattered libraries in the old city all over the history of Iraq makes it difficult to keep track of the book and monitor who deals with it and who has interest in culture as well.

المبحث الأول: الإطار المنهجي

مشكلة البحث

كما يصعب دراسة النسق الثقافي المعلن للمحافظة على مدى قرن (١٩١٧ - ٢٠١٧)م لغياب التدوين أو ضعفه، «والتدوين كلمة مشتقة من ديوان، وكلمة ديوان نفسها معربة عن الفارسية القديمة من كلمة (di-pana) التي تطورت عنها في الفارسية الوسطى كلمة (dewan) بمعنى الأرشيف أو جامع المدونات. ولابد أن ذلك حصل في الحيرة عند احتكاكها»[1]، بمعنى غياب الدراسات السابقة التي تؤرشف وتوثق لهذا النسق الثقافي المعلن، لقد تعرض المكان في مركز المدينة القديمة لأكثر من ثلاث مرات للهدم والتجريف بعنوان التوسعة، وكان في كل مرة يغيب النسق الثقافي المعلن ويظهر في مكان آخر على شكل شتلات متناثرة غير منسقة ومتسقة ما أثر سلبا على إحياء الثقافة ونموها بشكل صحيح. ولذلك كانت أهداف البحث هو التعرف على الأنساق الثقافية المعلنة في محافظة كربلاء.

وبعد انقلاب حزب البعث المقبور واستيلائه على مقاليد السلطة ولفترة أكثر من ثلاثة عقود، أفرز الواقع الثقافي الكربلائي مجموعة من الظواهر السلبية وهي عبارة عن مجموعة مصطلحات ومفاهيم هي أحد أوجه الصراع المعلن ربما تكون خاصة بالوسط الثقافي الكربلائي وربما تكون عامة في الفرات الأوسط أو على مستوى العراق، والتي تعبر عن صراع الأدباء ومنها (اللفو والعجمي، المدني والمعيدي، عراقيو الداخل وعراقيو الخارج، القائم والقادم، القار والمتحرك). إضافة إلى الصراع بين المؤسسة الحكومية المتمثلة بوزارة الثقافة والإعلام واتحاد الأدباء والكتاب من خلال الترغيب والترهيب. ما أدى الى تشظي الأديب إلى أنساق عدة موالية وممثلة للنظام المقبور وأنساق معارضة ومعادية له، لبس بعضها لباس الدين بينما لبس البعض الآخر لباس العلمانية وبعضهم تاه بين الاثنين، وقليل من لبس لباس الوطن وراح يدافع عنه، ومثلهم من تبنى وجهة نظر الشعب وأصبح ناطقا باسمه.

وتجلى كل ذلك من خلال المبحث الأول الذي تمثل بالإطار المنهجي الذي يخص مشكلة واهمية وأهداف البحث إضافة الى حدود البحث وتحديد المصطلحات، وتناولت الدراسة من خلال المبحث الثاني - الإطار النظري - ثلاث مطالب، الأول تمظهرات الثقافة الكربلائية، الثاني تناقض وتنافر فئات المثقفين، والثالث يتكلم عن تأسيس سوق سرداب الكتب والنتاج الأدبي لأدباء المحافظة وكتابها، وانتهى البحث الى جملة من المؤشرات والنتائج ومنها: ان النسق الثقافي المعلن للحكومة تبلور في فترة الثمانينات، ثم تحول إلى نسق مضطرب ومتناقض وضعيف. وكان اهتمامه بالشعر العمودي والحر والشعبي، أكثر من اهتمامه بالقصة والرواية. كما مَنعت حكومة البعث البائدة استيراد الكتب من خارج العراق، ومن ثم مُنعت رغما عنها من الاستيراد بعد فرض الحصار الاقتصادي.

ان دراسة الأنساق الثقافية المعلنة في مدينة كربلاء تُعد في غاية الأهمية نظرا لما فيها من جدة وأصالة،

ولأنه يطأ منطقة شائكة وموغلة بالاختلاف، وفي الوقت نفسه ينتهج المنهج العلمي في دراسته من خلال المنهج الوصفي، ولأن الباحث جزء من الواقع الثقافي فهو خير شاهد وقرين ليس هذا فحسب، فـ«عندما يستخدم الإنسان المنهج العلمي، فأنه ينتقل بين الاستنباط والاستقراء، وينهمك في تفكير تأملي»[٢]. من كل ذلك نستطيع حصر مشكلة البحث بالآتي: **الكيفية التي تمظهرت من خلالها الانساق الثقافية المعلنة في محافظة كربلاء.**

أهمية البحث

أفرزت المدارس النقدية دراسات تعنى بالنسق المضمر الذي تمثل في بعض أوجهه في تسليط الضوء على المهمش والمهمل والضعيف والمتروك والأسود، كما أفرز الأدب النسوي وغيره من التشكلات النقدية الأخرى. ولكن الباحث وجد أن دراسة النسق المضمر لتتبع الخط البياني للشارع الثقافي الكربلائي ربما يكون غير مجد ولا يخرج بنتائج حقيقية تعكس واقع الثقافة في هذه المحافظة، ولأن الثقافة تمثل ضمير الأمة وإنعكاسا لنموها الحضري والمدني، ومن غير الممكن أن ينمو ويكبر دون رعاية الحكومة بغض النظر عن نوع هذه الرعاية، ولذلك آثر الباحث أن يدرسها وفق منهج نقدي أطلق عليه النسق الثقافي المعلن. ومن هنا تكمن أهمية البحث في كونه سيكون مرجعا للباحثين والدارسين، ما يضفي صعوبات جمة وعصية على باحث يحاول قراءة الشارع الثقافي الكربلائي بطريقة النسق الثقافي المعلن، لأن هذا المعلن في تغير مستمر إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار انه رأس مال رمزي.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى التعرف على الأنساق الثقافية المعلنة للشارع الثقافي الكربلائي.

حدود البحث

تنحصر حدود البحث بدراسة موضوعة الأنساق الثقافية المعلنة للشارع الثقافي الكربلائي وهي بالشكل الآتي: الحد الأول (الموضوعي): هو قراءة وتأويل النسق الثقافي المعلن الحكومي الرسمي وغير الرسمي من خلال اتحاد الأدباء ومنتدى الأدباء وكل ما يتعلق بالكتاب من لحظته كمخطوطة وحتى إظهاره ككتاب ومحايثاته. أما الحد الثاني (المكاني): هو الذي يتمثل بمحافظة كربلاء وبعض المحايثات للعاصمة بغداد كونها مركز القرار الثقافي للحكومة وللإتحاد والأدباء. وأخيراً الحد الثالث (الزماني): الذي يتحدد بإصدار أول ديوان شعري للشاعر محمد علي الخفاجي عام (١٩٦٤)م، وحتى عام (٢٠٠٤)م، كمرحلة جديدة لوجه العراق.

تحديد المصطلحات

تكاد تجمع القواميس العربية المعتمدة على ان النسق بالعموم هو الصف الواحد من الأشياء المرتبة، ففي لسان العرب يذهب إلى «ان معنى النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد نسقه تنسيقا»[٣]. وفي المنجد في اللغة «نسق الشيء: نظمه، ناسَقَ بينهما: تابع أنسق الرجل: تكلم سجعا.

تنسق وتناسق وانتسقت الأشياء: انتظم بعضها الى بعض. يقال تناسق كلامه أي جاء على نسقٍ ونظام، فهو متناسق»[٤]. وفي مختار الصحاح يذهب الى معنى نسق ن س ق: نسق بفتحتين إذا كانت أسنانه مستوية وخرز نسق منظم والنسق أيضا ما جاء من الكلام على نظام واحد».

أما اصطلاحا يعد «نيكلاس لومان الممثل والمؤسس الألماني لنظرية الأنساق التي تتميز بأسلوبها الجديد في النظر إلى مجتمعي الحداثة وما بعد الحداثة... إذن نظرية الأنساق العامة هي نظرية شاملة يمكن تطبيقها على كل الأنساق سواء أكانت اجتماعية أم نفسية»[٥]، وكانت سوق الكتب أنموذجا وكل ما يتعلق به من الكتبيين وأصحاب المكتبات والمثقفين والتزاحم والتنافر والتنابز الحاصل بينهم والمهن والحرف التي تتعاطى الحرف والكلمة ومنها الخطاطون والمطابع والطوابع وبائعو الصحف والمجلات والدار الوطنية والرعاية الحكومية واتحاد الأدباء ضمن مرحلة ما قبل الاحتلال.

ويرى لومان أن نسقا لا يمكنه القيام إلا بوظيفته وهو مستقل بمعنى إنتاجه الذاتي للقواعد التي يعمل على أساسها تماماً مثل إنتاجه للعناصر التي تشكله، ولا يوجد في النسق شيء آخر سوى عملياته الذاتية؛ وذلك لغايتين مختلفتين «الأولى: تكوين البنى الذاتية، حيث يتوجب تشكيل البنى الذاتية لنسق مغلق العمليات عبر عملياته الذاتية، أي لا يوجد استيراد للبنى وهذا يعني أن هناك (تنظيماً)، والثانية: ليس بحوزة النسق وتحت تصرفه سوى عملياته الذاتية لكي يحدد الحالة التاريخية، أي الحاضر الذي لابد لكل شيء أن ينطلق منه»[٦]. وإن النسق الثقافي المعلن وظيفته كشف أسباب الصراع المعلن وتسليط الضوء عليه ومعرفة أسبابه وهو في زمن النظام السابق لبس لباس الحكومة ونظامها، لكنه لم يستطع أن يذيب الفواصل المفتعلة وغير الحقيقية بين من يتعاملون مع الكتاب والثقافة، مع أن محافظة مثل كربلاء تمتاز بأنها ذات لون ومذهب واحد، على العكس من المحافظات الأخرى مثل بغداد والبصرة وكركوك والموصل التي تتعدد أطيافها بالقومية والدين والمذهب، وربما لم تكن كربلاء تعيش صراعا فكريا ودينيا بين الإيمان والإلحاد إلا على قدر ضيق يكاد يكون غير محسوس أو ملموس ثقافيا قدر بعض الهمس الجانبي الذي لا يسمع، وعلى عكسه في الشعر والنثر كان الخلاف والاختلاف ربما يصل إلى حد العراك وعدم الاعتراف بالآخر. والأهم أن الأديب أو المثقف لم يتخذ من الأدب وسيلة لتغيير حياته أو تغيير حياة الآخرين، بل جعلها وسيلة للتكسب أو للتعبير عن خيباته وطموحاته المنكسرة والمتكسرة على عتبة الواقع. كما لم يكن للأديب القدرة على مواجهة المؤسسة الثقافية الحكومية المعلنة بل انطوى تحتها لحمايته وجعلها وسيلة للتكسب والعيش. ولذلك يركن الباحث الى التعريف الإجرائي الذي يخص النسق الثقافي المعلن الآتي: **هو دراسة الظواهر المعنوية والمادية العامة من خلال البحث الميداني من أجل الوصول إلى الخاص للخروج بنتائج غير قطعية بل تتحمل التغير المستمر.** كما «اهتم علم الأنثروبولوجي، منذ بواكير نشأته، بدراسة الثقافات غير المألوفة ولم يتغير هذا الوضع إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين حينما

حول علماء الأنثروبولوجي اهتمامهم الى المشكلات والمعضلات الداخلية التي تعاني منها ثقافتهم المحلية»[٧]. وهذا ما ذهب إليه الباحث من دراسة الأنساق الثقافية المعلنة.

الأسباب الموجبة

النقطة المهمة والأساسية التي دعت الباحث لكتابة البحث هو ما دار من لغط عن الكثير من الإشاعات حول تاريخ الأدب العربي، كما شابته الكثير من الشوائب، والسبب هو بعد المسافة التي كتب بها التاريخ، وعندما كتب الأستاذ طه حسين كتابه (من تاريخ الأدب العربي)[٨]، تكلم فيه عن نظرية الإنتحال في الشعر الجاهلي، والذي يقول فيه إن كل النحو والبلاغة والأدب العربي، بل كل منتجنا العربي كتب بعد أكثر من ثلاثة قرون تقريبا من البعثة النبوية، والذين كتبوه هم كل من خلف الأحمر، حمادة الراوية، أبن سلام الجمحي، الأصمعي، وقد حاولوا جمع التراث الإسلامي، وعملوا على البيع والشراء فيه، لأن الأشعار كانت تشترى من قبل القبيلة التي ينسب لها الشاعر، وعندما انتهى هذا الموضوع وكان هذا باب رزقهم اضطرهم إلى إرتجال الشعر. فأخضع للمحاكمة وحكمت ببراءته من التهم الموجهة إليه، وتأويلهم في ذلك، أن طه حسين كان يقصد من وراء ذلك أن القرآن منتحل. لأنهم يقيسون القرآن على الشعر الجاهلي، ومحاولة ابن عباس الذي أشكل على المفردات والكثير من السياقات القرآنية والذي فسر القرآن بالشعر الجاهلي كونه اللغة الأم له، وأنت يا طه حسين عندما تدعي ذلك فقصدك هو تهديم القرآن ومن ثم الإسلام. ومثالا على ذلك بيت الشعر الذي يقول:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل

الذي كان يقول عنه إن هذا البيت الشعري على سبيل المثال بيّن انه إسلامي وليس ما قبله. إن الخوف من الإندثار والتزوير وتجريف المدينة، ولأن من كتب تاريخ المحافظة سابقاً اهتم بالعوائل الثرية والأعيان والوجهاء والسدنة، دون أن يلتفت لتاريخ المحافظة الثقافي، كل هذه الأسباب دعتني لكتابة التاريخ الثقافي للمحافظة.

المبحث الثاني: الإطار النظري

أولاً: تمظهرات الثقافة الكربلائية

يرى البعض إن الثقافة العراقية هي «ثقافة مقاهٍ»[٩]، حيث درج المثقفون على اللقاء فيها والتحاور في الشؤون العامة من الحياة، ومنها الشؤون الثقافية، وقد «لعبت دوراً إيجابياً كبيراً في الحركة الثقافية، إذ عممت وعززت التركيز على الحداثة ومن وعي المثقف لتجربته وخصائص شخصيته الإبداعية، كما عمقت التفاعل مع الأدب العربي في البلدان الأخر فضلا عن التفاعل مع الاتجاهات والأعمال الحديثة في الآداب العالمية»[١٠]، وكانت المكتبات تنتعش قربها، فقد درجت العادة على استخدام نظام إعارة الصحف المشهور في المقاهي، ومنها مقهى الصراف، ومقهى سيد علي وغيرها.

بدأت الثقافة الكربلائية في أواسط الستينات وما بعدها تنمو وتزدهر مثل مروج الحقول الزاهية، وكان التجار والأثرياء من أصحاب الخانات والبزارات يدعمون الأدب بشكل مباشر، وكان الشاعر (محمد علي الخفاجي) مشهورا بدعمه للمبتدئين، و«أول عمل يقوم به هو قراءة كتاب المبتدئ أو ديوانه ومن ثم يأخذ بيده ويطوف به على تجار السوق الميسورين ليجمع مبلغ طبعه، ومنهم عيسى حسن الياسري، وقد تبرع عبد الأمير أبو دكه له بدينارين، وكذلك جمع بعض المال لتوفيق العطار من أجل طبع كتابه»[١١].

كانت الحركة الأدبية في كربلاء، جاذبة للمثقفين من المحافظات الأخرى، بل كانت ملتقى الباحثين للبحث عن المخطوطات والكتب النادرة، حتى أن الباحث عباس العزاوي وقاسم محمد الرجب زارها أكثر من مرة والتقيا في مكتبة السعادة لصاحبها سعيد زيني، وكانت عائلة الرشدي (الرشتي) تمتلك مكتبة ضخمة جدا تحتوي على كميات كبيرة من المخطوطات تبرعت للأستاذ عباس العزاوي بالكثير منها، بل أنهم ملأوا الكثير من علب الكراتين بها دون أن يعرفوا قيمتها، والباقي تبرعوا بها إلى دار المخطوطات حيث أفرد لهم الأخير رفا أو مكانا خاصا بهم وذكر اسم المتبرع بما يقدر بألفي مخطوطة. كما كانت عنوانا وملتقى للأدباء والكتبيين وأصحاب المكتبات من المحافظات الأخرى، كما كان يزورها الكثير من أصحاب مكتبات شارع المتنبي، ومنهم الأستاذ حسن الأمين وقاسم الرجب يلتقون عند مكتبة السعادة ومنها ينطلقون للمكتبات الأخرى للبحث عن المخطوطات. كما يقصد المحافظة بعض الوفود من الأزهر لتلتقي بالدواوين والمجالس الثقافية[١٢].

أما أشهر من يبيع القرطاسية في المحافظة فهو السيد جعفر العادلي، قرب باب قبلة الإمام الحسين عليه السلام، و«كان يرتدي العمامة، ويعلن عن كل جديد يصله، ففي إحدى المرات كتب إعلانا عن وصول حبر (ديها) ومن ثم قلم (ديها) وكان يعلن ذلك في بعض الأحيان بصوته الطبيعي بطريقة جاذبة ومغرية فيجتمع حوله الصبية. كما كان يجلب مجلات الأطفال ومنها ميكي وسمير، أما شارع الإمام علي المحصور في أعلاه بساحة على الأكبر عليه السلام وفي أسفله ساحة البلوش كان يحتوي على الكثير من المطابع والمكتبات ومنها عزيز وحسن كلكاوي، والمكتبة الأهلية ومكتبة الفرات، وسيد محمد، والهاشمية والبحراني، الذي أعتقله الأمن وعلى أثرها ترك مهنة المكتبة. ومكتبة الريس قرب مكتبة زيني، كان يجلس على الدكة ليجتمع قربه المثقفون»[١٣].

كان المشاع في الوسط الثقافي الكربلائي ان الأفكار في العقود الأولى من القرن المنصرم وربما التي قبله تنبع في قزوين ويتم التنظير لها وتأصيلها في النجف وتنتشر في كربلاء، كما شاع بعد ذلك أن مصر تؤلف ولبنان تطبع والعراق يقرأ وربما في كل وسط هناك أمثال خاصة بها. ومن الشخصيات المهمة والمؤثرة في الوسط الثقافي «عبد الأمير الترجمان»[*] وهو مدرس وفنان يلبس العمامة (الكشيدة) ويجلس في الحضرة ويقصده الكثير من الشيوخ والشعراء وقراء المنبر الحسيني، كما كان يقصده الكثير من الفنانين من

العاصمة والمحافظات الأخرى من أجل الحصول على لحن، أو تعديل لحن تم إنجازه أو أي خلل آخر. هذا التراث الثقافي الذي تتناقله أفواه المسنين الذين تجاوزت أعمارهم السبعين، يرفض الكثير منهم تدوينه، أما لاعتقادهم انه غير مهم، أو لعدم التفرغ له، أو لأن هموم الحياة وكبر السن هو العائق لتدوينه.

ولعل من الأوجه التي يجب ان نفصِّل فيها وتُعد أحد الروافد الرئيسة والمهمة الذي يرفد الحركة الثقافية هي الطباعة، لأنها الوجه الآخر للثقافة، لأنها تمده بالاستمرارية، وللمطابع تاريخ في العراق، «ففي عام (١٨٣٩م) أسست في بغداد أول مطبعة هي مطبعة دار السلام، التي اعتمدت تقنياتها على الزنكغراف، وكذلك عام (١٨٥٦م) أنشئت مطبعة كربلاء الحجرية وكانت أغلب طباعتها تجارية ومسائل دينية وغيرها، كما أنشئت عام (١٨٥٩م) في مدينة الموصل مطبعة أخرى»[١٥]. هذا هو تاريخ المطابع في العراق أيام الحكم العثماني، والذي استمر بعدها وإن كان ذلك في تلكؤ كبير.

وكما للمطابع وجه تجاري رئيس يساعد على ديمومتها مثل طباعة الكتب المدرسية، حيث كانوا ينتظرون الموسم الدراسي بفارغ الصبر من أجل تشغيل مكائنهم وعمالهم والحلقة الدائرية التي تبدأ من العامل وتنتهي بالطالب، إضافة إلى طبع مطبوعات أخرى وفي ذلك يذكر السيد قاسم الرجب في مذكراته في سوق السراي – الحلقة الرابعة الآتي: «في أوائل كل سنة كانت بعض المطابع تتولى طبع المفكرات والتقاويم والأجندات، ومن أشهر المفكرات وأوسعها انتشارا (المفكرة العربية) التي يصدرها نعمان الأعظمي وهي لا تزال تصدر إلى يومنا هذا وكان ينظمها ويرتبها أحد خطباء المساجد في بعقوبة ولقبه الزيدي. والمفكرة هذه تحتوي على خليط عجيب من الحكم والأمثال بالإضافة إلى الأنواء الجوية وأمور أخرى لا يربطها رابط ولا تدخل تحت حصر... كما أنها تحتوي على مواقيت الصلاة والأعياد والمناسبات ووفيات الأئمة والقادة العسكريين»[١٦].

فان لهذه المطابع وجها آخر في طباعة الكتب، وهي الكتب الثقافية وبمختلف توجهاتها، وكانت هذه المطابع في الشوارع المجاورة لشارع المتنبي، وتشرف على طباعة الكثير من الكتب لمؤلفين عراقيين، التي كانت ترفد الحركة الثقافية.

وفي كربلاء التي أتى ذكر دخول المطبعة إليها بعد بغداد، فقد كانت سابقا مهتمة بطباعة الكتب الدينية على وجه الخصوص لما تحتوي من مدارس دينية، بل إن الحوزة الدينية كان مقرها في كربلاء قبل أن تحدث قلاقل بسبب قرة العين وما تبعها لتنتقل إلى النجف الأشرف وتستقر نهائيا فيها، وفي الزمن الحالي فان كربلاء فيها الكثير من المطابع العامة وليست المختصة بطباعة خاصة، فهي تطبع الكتاب على قدم المساواة مع السجل الحكومي ومنها مطبعة كفري واللواء وخليل والتأميم والزوراء والفرات. وتُعد كربلاء من مدن العراق الأولى في معرفة الطباعة إذ يعود تاريخ ذلك الى أواخر القرن الثالث عشر الهجري ومنذ ذلك التاريخ عرفت كربلاء مختلف المطابع التي خدمت المدينة و«كان أكثر مطبوعاتها مناشير تجارية وكتب أدعية ورسائل دينية ومن ضمن مطبوعات

هذه المطبعة كتاب مقامات أبي الثناء الآلوسي، وفي سنة ١٨٦١م الموافق لسنة ١٢٨٩هـ جلب الشخص المدعو ميرزا عباس التبريزي مطبعة حجرية ثانية ونصبت في كربلاء باسم مطبعة التبريزي... ومن بعد هذا التاريخ جلبت عدة مطابع الى كربلاء أشهرها:

١. مطبعة المظفري، صاحبها محمود المظفري شيدت عام ١٣٢٩ هـ.
٢. مطبعة الشباب، صاحبها عباس علوان صالح الطهماسي شيدت عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥ م.
٣. مطبعة الثقافة، صاحبها محسن عبد الرضا شيدت عام ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م.
٤. مطبعة الطف، صاحبها إبراهيم الكتبي شيدت عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤١ م.
٥. مطبعة أهل البيت، صاحبها جاسم محمد الكَلكاوي مدير صحيفة المجتمع الكربلائي ويعود تاريخ تأسيس هذه المطبعة الى سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
٦. مطبعة كربلاء، صاحبها جواد كاظم الموسوي، شيدت ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
٧. مطبعة تموز، اسسها محسن المعمار وعدنان عبد الحسين الدارمي، سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧٠م»[١٧].

ثانياً: عراقة المكتبات في المدينة القديمة

تحتوي كربلاء بين ظهرانيها مكتبات عملاقة وغنية بأمهات الكتب والنوادر، لأشخاص كان المداد يسري في عروقهم مسرى الدم في الوريد، ولذلك كانوا يقصدون الكتبيين الرحالة الذين يتنقلون بين المحافظات بعناوين نادرة ومفقودة، كما كانوا يقصدون «شارع الأكمكخانه»[١٨]، كل جمعة عسى أن يجدوا ضالتهم، ومن أصحاب المكتبات المهمة والعملاقة في كربلاء الأستاذ علاء الكتبي والشيخ علي حميدي والشيخ عزيز الطرفي والباحث حسن عبيد عيسى في قضاء الهندية وآخرون، أما في مركز المدينة وأطرافها فكان حسين الجبوري (أبو تغلب) والشيخ إبراهيم الشيباني وعبد اللطيف الياسري والمرحوم حسون طابور أغاسي والمرحوم حسن عبد الأمير أبو دكة من أصحاب المكتبات العامرة والتي ورثها ولداه صباح وفلاح وطوراها، وسلمان هادي طعمة، وعبود جودي الحلي وعلي الفتال وعدنان الغزالي ورضا كاظم الخفاجي وحمزة ابو العرب، واحمد حسون وعلي عريبي وحيدر العابدي وعلي حسين يوسف. وفي هذا الصدد يذكر قاسم محمد الرجب في مذكراته في سوق السراي - الحلقة الخامسة والمنشور في مجلة المكتبة الآتي: وأهم المدن العراقية في شراء الكتب وتصريفها هي بغداد والنجف الأشرف وكربلاء والموصل والبصرة والحلة وكركوك، وأقل المدن العراقية شراء للكتب بل يكاد يكون الكتاب منعدما فيها لا وجود له ولا ذكر هي لواء الكوت والرمادي وأما ألوية الديوانية والعمارة والناصرية فأحسن منها بقليل.

وفي ستينات القرن الماضي عندما كان قضاء الهندية لا يتجاوز عدد سكانه العشرين ألف نسمة، كان هنالك أربع مكتبات عامة هي (المكتبة العامة التابعة للإدارة المحلية، مكتبة الحكيم العامة، مكتبة

الرسول العامة ومكتبة الكتبي العامة، مكتبة الشيخ الطرفي) وهي مكتبات تفيد الباحثين والطلاب والمثقفين بالعموم ومن يقوده الفضول العلمي للبحث عن إجابات لأسئلته التي لا تنتهي، حيث يستعيرون ما يشاؤون منها من الكتب، في حين كانت هناك أربع مكتبات تجارية هي (مكتبة مجيد الهندي، ومكتبة كمال بكر، ومكتبة نزار عبد الصمد، ومكتبة عبد علي كنيفذ)، بعد أكثر من نصف قرن حيث أصبح عدد سكان قضاء الهندية يتجاوز الثلاثمائة وخمسين ألف نسمة وفيها من النخب والشهادات والأكاديميين والباحثين العدد الغفير، لا نجد فيها سوى المكتبة العامة التابعة سابقا للإدارة المحلية إذ أن نصفها تحول إلى موكب حسيني والنصف الآخر تقاسم بنايته البيت الثقافي في الهندية مع المكتبة. وفيما يخص المكتبات التجارية فليس في هذا القضاء حاليا سوى بسطية لبيع الصحف اليومية لصاحبها سعد الذي يجد صعوبة في الكلام.

وربما أهل هذا القضاء الكرام، ينتمون ثقافيا إلى محافظتين هما كربلاء وبابل، وتجد الوشائج الثقافية التي تربطهم بالكتاب والأديب والكتبي في هاتين المحافظتين على قدر المساواة فتجد بعضهم يحضر في اتحاد أدباء بابل كما يحضر في اتحاد أدباء كربلاء، وكذلك في معرفتهم بالمكتبات والكتبيين، وقد خرج هذا القضاء الكثير من الأدباء كان لهم الكأس المعلى والمشهور على مستوى العراق ومنهم فاضل عزيز فرمان وحاتم بصيلة و«حسن عبيد عيسى»[١٩] ويحيى النجار وآخرون. وكلهم روافد للثقافة العراقية.

ويذكر قاسم محمد الرجب في مذكراته «أن أول مكتبة خرجت من سوق السراي أو سوق المكتبات إلى شارع المتنبي هي مكتبة العصرية لصاحبها محمود حلمي، وكان ذلك أواخر عام ١٩٥١، وكان لهذا الخروج من السوق أثر كبير على من بقي فيه فتبعه الأستاذ قاسم محمد الرجب وأستأجر مكتبة تقع مقابل المكتبة العصرية مما يحاذي المخبز العسكري وكان ذلك عام ١٩٥٣، ولم يكن خارج سوق السراي أو سوق المتنبي (الأكمكخانه) مكتبات تبيع الكتب»[٢٠].

اما المكتبة الأولى في كربلاء لتوزيع الصحف والمجلات في العهد الملكي وبعدها الجمهوري هي المكتبة الأهلية لصاحبها عباس الكتبي التي تقع في شارع الجمهورية مجاور كراج بغداد لسيارات التاكسي (التورن) وكانت صحف العهد الملكي هي كل من جريدة الأخبار والزمان أما صحف العهد الجمهوري فهي جريدة الأخبار والزمان واتحاد الشعب وصوت الأحرار والإنسانية والثبات والثورة والحرية أما المجلات فهي مجلة المثقف والطليعة والثقافة الجديدة كان يعمل معه سيد علي يعاونه ويوزع الجرائد على المشتركين بواسطة دراجته الهوائية إضافة إلى اشتراكات الدوائرالحكومية، وهناك باعة جوالة كان ترديدهم (أخبار اليوم جرايد) سعر الجريدة (١٦) فلسا ربح المكتبة (٤) فلوس يقسم الربح على اثنين بين صاحب المكتبة والبائع المتجول ليصبح فلسين لكل منهما، انفصل السيد علي من المكتبة الأهلية واتخذ منفذا من دار الأستاذ مهدي السعيد مدرس اللغة الإنكليزية الكائن في شارع قبلة الحسين عليه السلام مقابل مقهى الصراف وأخذ

يمتهن بيع الصحف مع ولده، وهنا برزت ظاهرة تأجير الجريدة لرواد المقهى بقيمة أربعة فلوس لكل جريدة وفي السبعينات هجّر صاحب المكتبة الأهلية إلى إيران وأصبحت المكتبة بعهدة صالح عوينات وبدل اسمها إلى (مكتبة ١٧ تموز) بضغط من حزب البعث المجرم، وبعد تغيير النظام في ٢٠٠٣م، أعيد اسم المكتبة الأهلية والآن لا ذكر لها وكانت هناك مكتبة الزهراء عليها السلام أسسها الحاج جاسم الكلكاوي ثم آلت لأخيه حسن الكلكاوي وتقع في نهاية عكد النعلجية من طرف شارع الإمام علي عليه السلام وكانت تأتي بالدرجة الثانية من بعد المكتبة الأهلية، ولهذا الرجل – جاسم الكلكاوي – تاريخ مشرق ومشرف، فقد أسس مطبعة عام ١٩٥٧، وطبع من خلالها الكثير من النتاجات الأدبية والفكرية لعلماء في كربلاء، كما أصدر جريدة المجتمع عام ١٩٦٣، وهي جريدة أدبية سياسية اجتماعية أسبوعية عامة، وكانت مسرحا لظهور المواهب الإبداعية المحلية، كما أصدر جريدة العدل الأسبوعية، وله مؤلفات مهمة ومنها (العرب في الكتاب والسنة والتاريخ) من تقديم الدكتور احمد عبد الستار الجواري، و(البرامكة والعلويون)[٢١].

وتذكر المصادر الرسمية ان بداية الحركة الصحفية في كربلاء كانت مع بداية الحركة الوطنية في العراق وقد كان لها دور فعال في خدمة التراث وفي تصعيد الوعي السياسي وخدمة الحركات الوطنية وفيما يلي قائمة بأسماء الصحف والمجلات التي صدرت في كربلاء:

١. الاتفاق سياسية صاحبها مرزا علي صدرت في اذار ١٩١٦م.
٢. الغروب سياسية جامعة صاحبها عباس علوان الصالح ومديرها المسؤول المحامي حسن محمد علي صدرت في ٢٤ تموز ١٩٣٥م واستمرت سنتين.
٣. الندوة الأدبية عامة مديرها المسؤول المحامي السيد محمد مهدي الوهاب صدرت عام ١٩٤١م.
٤. الأسبوع أدبية جامعة صاحبها عباس علوان الصالح صدرت ١٩٣٨م.
٥. النادي سياسية عامة صاحبها عباس علوان الصالح صدرت ١٩٥٠م.
٦. القدوة أسبوعية أدبية صاحبها عبد الرحيم الملا خضير صدرت ١٩٥١، واستمرت حتى عام ١٩٥٣م.
٧. رسالة الشرق – مجلة أدبية دينية شهرية صاحبها صدر الدين الشهرستاني مديرها المحامي حسن حيدر صدرت ١٩٥٣م.
٨. شعلة الأهالي جريدة سياسية اسبوعية صاحبها ورئيس تحريرها المحامي عبد الصاحب الاشقير صدرت عام ١٩٦٠م.
٩. المجتمع جريدة سياسية اجتماعية اسبوعية صاحبها جاسم كلكاوي ومديرها المحامي جواد الظاهر صدرت في تموز ١٩٦٣، احتجبت وعادت الصدور عام ١٩٦٩، بإدارة عبد الجبار عبد الحسين الخضر ثم احتجبت أواخر عام ١٩٧٢م.
١٠. أجوبة المسائل الدينية نشرة دينية شهرية صاحبها السيد عبد الرضا الشهرستاني صدرت عام ١٩٥١م.

١١. صوت المبلغين نشرة دينية شهرية صدرت عام ١٩٦٥م.

١٢. الأخلاق والآداب نشرة دينية أصدرتها المدرسة السليمية عام ١٩٦٠م.

١٣. منابع الثقافة الدينية نشرة أصدرتها المدرسة البادكوبة عام ١٩٦٠م.

١٤. الرائد مجلة أدبية تربوية علمية أصدرها فرع نقابة المعلمين في كربلاء عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧٠م.

١٥. الحرف مجلة تربوية تصدرها مديرية كربلاء صدرت عام ١٩٦٨م.

١٦. صوت الإسلام مجلة دينية علمية أدبية عامة تصدرها جمعية النهضة الإسلامية صدرت عام ١٩٧٢م.

١٧. جريدة الأخيضر تصدر سنويا وبمعدل ثلاث أعداد وذلك خلال احتفالات المحافظة بيوم المحافظة ومهرجان الأخيضر السياحي رئيس تحريرها مهدي جواد الخزرجي وسكرتيرها السيد طارق أمين الخفاجي مدير المركز الثقافي والإعلامي في كربلاء»[٢٢]. صدر عددها ألأول في كربلاء يوم ٢٧/ ٤/ ١٩٨٢وهي خاصة بمهرجان الاخيضر السياحي الخامس. وكان رئيس تحريها السيد طالب جواد الربيعي حتى العدد الرابع، وكان من ابرز كتابها: طارق أمين الخفاجي، احمد عبد المجيد، محمد باقر الحسيني، زينب صادق.وغيرهم توقفت مع ختام المهرجان[٢٣].

وصدرت بعد ذلك مجموعة من «الصحف»[**] في المحافظة ومنها جريدة كربلاء التي تضمنت أخبار سياسية ثقافية عامه صدرت عن رابطة الصحفيين الشباب في كربلاء عام ١٩٩٤م، وترأس هيئة تحريرها الأستاذ عمار الربيعي وهيئة تحريرها تكونت من طالب الوندواوي؛ شاكر عبيد راضي الميال؛ خلد الخزاعي؛ ذياب الطائي؛ عبد الأمير الكناني؛ وآخرون، تضمنت صفحاتها الأدب والسياسة والتاريخ والفن والرياضة والتحقيقات وغيرها. استمرت بالصدور حتى عددها الثامن وبه انقطعت. وتبعتها جريدة بالعنوان نفسه وهي أسبوعية عامة رئيس تحريرها نوفل عبد المجيد وسكرتير التحرير صلاح حيدر ثم استبدل بالأستاذ يحي النجار، والسكرتير التنفيذي علي الجنابي وغيرهم، صدر عددها الأول (توكلنا على الله) في ٧/ حزيران/ عام ٢٠٠٠م، تناولت في صفحاتها مواضيع عديدة ومنوعة بالدين والتراث والتاريخ والأدب والسياسة إضافة إلى نشرها كل ما تعلق بشؤون المدينة من أحداث ونشاطات. استمرت بالصدور إلى الساعات الأخيرة من نظام صدام حسين حيث صدر عددها الأخير في طبعة (استنساخ) وبالحجم الصغير وفي ظروف أحداث عام ٢٠٠٣م.

ولم يكن في محافظة كربلاء أي مجلة علمية محكمة حتى عام ٢٠٠٢م، رغم استحداث كليتي التربية والإدارة والاقتصاد في المحافظة للعام ١٩٩٦-١٩٩٧م، إذ صدرت مجلة جامعة كربلاء وهي مجلة علمية محكمة تعتمد لأغراض الترقيات العلمية، وقد صدر عددها الأول في ٢٠٠٢م، شغل رئاسة تحريرها

الدكتور عبد المناف شكر النداوي (رئيس الجامعة)، وهي مجلة بالحجم الوسط ويقع عددها الواحد في ٢٤١ صفحة وربما أكثر وهي مستمرة بالصدور.

وفيما يخص المكتبات فقد اسس بعضها من قبل الأحـزاب منها مكتبة الشعب للشيوعيين بإدارة كاظم الرماحي تقع في شارع العباس ومكتبة العروبة للبعثيين بإدارة بدري الكلكاوي تقع في شارع الإمام علي مقابل سوق العرب ومكتبة الأهـالي في بداية شارع الإمام علي عليه السلام (باب العلوة)، ومكتبة الأهالي لصاحبها يحيى توفيق نصر تقع في باب بغداد بناية المرحوم صالح عوز، ومكتبة العادلي للأستاذ جعفر العادلي ومكانها في شارع قبلة الحسين عليه السلام وكانت تبيع القرطاسية أيضا، ودار المحيط لصاحبها عبد الجبار الموسوي ومكانها في شارع الإمام علي عليه السلام مجاور القنصلية الإيرانية، ومكتبة الإمام العباس عليه السلام مقابل البلدية لصاحبها سيد حسن الخطاط الذي كان يمارس الخط أيضا، ومكتبة المنتظر للشيخ علي الإحسائي الذي كان يمارس التجليد أيضا، ومكتبة القرآن الحكيم التي يديرها المرحوم الشيخ شاكر السماوي ومكانها بالقرب من مرقد ابن فهد الحلي (قدس سره)، ومكتبة شاطئ الفرات لصاحبها مجيد الكتبي في شارع الجمهورية مقابل قاعة الزهراء عليها السلام وكان يبيع القرطاسية أيضا، ومكتبة النجاح لصاحبها علي إبراهيم الفراتي ومكانها في شارع الإمام علي عليه السلام مقابل أفران كربلاء وتبيع القرطاسية أيضا، ومكتبة كربلاء مقابل باب الزينبية، ومكتبة السعادة لصاحبها سعيد زيني تقع قرب الحائر الحسيني، ومكتبة الصادق لصاحبها عبد الأمـير ومكانها في شارع صاحب الزمان، ومكتبة الآداب لصاحبها الشيخ محمد علي داعي الحق ومكانها قرب كف العباس الأيمن وكانت تبيع القرطاسية أيضا، ومكتبة النصر للمعلم هاشم ومكانها قرب عمارة الذهب، ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات لصاحبها محمد حسين ومكانها مقابل مرقد ابن فهد الحلي (قدس سره)، ومكتبة الطف لصاحبها منير الصحاف الذي كان يمارس التجليد أيضا، ومكتبة الشعب لصاحبها حسن الكلكاوي ومكانها رأس سوق النعلجية، ومكتبة عزيز الكلكاوي ومكانها رأس سوق العرب وكان يبيع القرطاسية أيضا، ومكتبة النضال في العباسية الغربية مقابل البريد لصاحبتها أم عبير، ومكتبة إقبال مقابل البلدية ومكتبة ايار جنب مهدي السني وقرطاسية محمد علي سراج الدين في شـارع قبلة الحسين عليه السلام ومكتبة قوام جنب الصيدلية الحسينية في باب السدرة ومكتبة شاكر هادي شكر وكذلك مكتبة شكري جنب باب قاضي الحاجات أمام مقهى الحاج حبيب ومكتبة السلبي في شارع المخيم جنب محل محمد أمين مجيد وقرطاسية المدراسي جنب محل محمد علي طاهر الحريري ومكتبة لطفي قرب حُسينية الحاج صالح بلورجي. ومكتبة الحكمة لصاحبها طه الربيعي في شارع الإمـام علي عليه السلام، ومكتبة الفتال لصاحبها علي الفتال ومكانها في شارع العباس عليه السلام، ومكتبة ١٧ تموز لصاحبها صالح عوينات، وسميت لاحقا بالأهلية، ومكانها في شارع الجمهورية قرب حلويات الرافدين، ومكتبة المعارف لصاحبها سيد قاسم الـذي يبيع القرطاسية والكتب والصحف أيضا.

وهـذه سـيرة عطرة فواحة للكتاب والكتبيين وأصحاب المكتبات، ومـن قبلهم كنا قد تطرقنا لأصحاب المطابع، كل ذلك إن دل على شيء فإنه يدل على أن هذه المدينة مترعة بالثقافة والمثقفين، وكانت من قبل بيت الدين عندما كانت الحوزة الدينية فيها قبل أن تشد الرحال إلى النجف الأشرف.

ثالثاً: دور الثقافة الجماهيرية(***)

يذكر الشاعر «عودة ضاحي»[٢٦] وهو من مواليد ١٩٤٨، انه في سنة ١٩٧٨، افتتحت دور الثقافة الجماهيرية في كربلاء (المنتدى الثقافي) والذي يعمل خارج دوام الدائرة الرسمي، وكان مكانه بين العيادة المركزية والمكتبة الوطنية (أصبح مصرفا فيما بعد) وتم هدم البناية، وقد تشكلت لجنة أدبية لإقامة الأمسيات الأدبية والفنية فيه، تشكلت اللجنة من الأدبـاء: الشاعر محمد علي الخفاجي، الشاعر شاكر البـدري، المرحوم الشاعر المحامي حسين فهمي الخزرجي، الشاعر عبدالجبار عبد الحسين الخضر، الفنان التشكيلي ناجح الخالدي، الشاعر باسم الحمداني، الأستاذ علوان الطائي، الشاعر عودة ضاحي التميمي، الشاعر عدنان الغزالي، ممثل الدائرة الشاعر رضا الخفاجي. قدمت هذه اللجنة أعمالا كثيرة على شكل أمسيات شعرية وأدبية وفنية على شكل لقاءات أسبوعية غير منتظمة، وبعد فترة وجيزة طرحت منهاجا ثقافيا لمدة ستة أشهر نفذته بالكامل ماعدا أمسيتين والمنهاج كما يلي:

١. حديث عن التجربة للشاعر محمد علي الخفاجي.
٢. أمسية لكتاب القصة الشباب من بينهم القاص والروائي جاسم عاصي، والقاص والروائي طامي عباس والقاص عباس خلف والقاص إبراهيم الكاتب وغيرهم.
٣. أمسية لشعراء بابل من بينهم الشاعر جبار الكواز والشاعر شكر الصالحي.
٤. أمسية لأفلام الكارتون وفن الكاريكاتير للفنان سلمان عبد.
٥. عرض مسرحية المجنون (لغيغول) قدمها إخراجا وتمثيلا الفنان سعدي يونس.
٦. محاضرة للكاتبة العربية صافيناز كاظم تحدثت عن تاريخ المسرح العربي.
٧. أمسية عن دور المرأة في المجتمع. قدمتها السيدة منال زيني.
٨. أمسية لشعراء العاصمة من بين الشعراء الذين أحيوا الأمسية.الشاعر خليل الخوري والشاعر علي جعفر العلاق والشاعر عبد المحسن عقراوي، وغيرهم من الشعراء المعروفين.
٩. أمسية للفنان التشكيلي محمد غني حكمت تحدث عن تاريخ الفن التشكيلي وتعدد مدارسه ومراحله التطويرية.
١٠. قراءات شعرية للشعراء الشباب من بينهم الشاعر صاحب الشاهر والشاعر باسم الحمداني والشاعر محمد عبد فيحان والشاعر عدنان الموسوي وغيرهم.
١١. محاضرة عن المسرح العراقي للفنان فؤاد القزويني.
١٢. استضافة المخرج العربي توفيق صالح وعرض فلمه (المخدوعون).

١٣. أمسية للشعر الشعبي أحياها الشاعر عادل السعيدي، الشاعر جابر الهنداوي، الشاعر جاسم الفتلاوي الشاعر محمد الخويطر والشاعر عودة ضاحي التميمي والشاعر عبد الحسين خلف والشاعر عبد الحسن الصيادي وغيرهم من الشعراء الشعبيين...

١٤. معرض تشكيلي لعدد من فناني كربلاء التشكيليين.

١٥. عرض مسرحية (المهرج) تعريق الشاعر محمد زمان وإخراج الفنان كاظم حيدر(أبو زهراء).

١٦. محاضرة للكاتب العربي أحمد عباس صالح حول اليسار واليمين في الإسلام.

١٧. معرض تشكيلي للفنان صاحب احمد.

١٨. أمسية لشعراء كربلاء من بينهم الشاعر شاكر البدري والشاعر حسين الخزرجي والشاعر رضا الخفاجي والشاعر هادي الربيعي وغيرهم من الشعراء.

١٩. أمسية عرض لأفلام تسجيلية.

٢٠. أمسية لجماعة تموز للأغنية الجديدة.

٢١. عرض مسرحية (حكاية الرجل الذي صار كلبا) للمخرج حازم كمال الدين.

٢٢. عرض أفلام روائية.

وبعد هذه الأمسيات المتعاقبة حدثت خلافات بين الأدباء أنفسهم وتوقفت وعادت في أثناء الحرب العراقية الإيرانية ولكن جلنا كان قد التحق بالخدمة العسكرية (احتياط).

لم أكتفِ بما رواه الشاعر ضاحي، وقررت الحديث مع الفنان التشكيلي «فاضل ضامد»[٢٧]، وهو من مواليد ١٩٥٧، والذي كان جزءا من النسق الثقافي المعلن لمدينة كربلاء وقال: إن دور الثقافة الجماهيرية تأسست في سنة ١٩٧٥ وفتح لها فرع في كربلاء عام ١٩٧٨ وكانت تابعة إلى وزارة الثقافة والإعلام، استأجرت الوزارة دارا قرب كراج البارودي، ووزعت الغرف ما بين الأدب والفن، وكان الأستاذ هادي الحكيم رحمه الله رئيسا ونائبه عباس الطرفي وموظفين آخرين كانت توزع الكتب والمجلات مجانا ومنها مجلة سومر وأكد و بابل والرسم الإسلامي وكتب موسوعية كثيرة.

في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات ظهرت ثلة من الشباب تحب الفن التشكيلي تلتقي في دور الثقافة الجماهيرية أيام العطل والجمع، بعد أن خصصت لهم غرفة خاصة بالرسم والمواد مجانا، وإقامة المعارض في منطقة ما بين الحرمين أو في ساحة البلوش بعد إنجاز عدد معين من اللوحات، وكانت هذه اللوحات تتميز بتنوع موضوعاتها السياسية والاجتماعية. ومن أهم الفنانين الذين ظهروا في هذه الحقبة هم كل من: هاشم الطويل، ناجح الخالدي، حازم الهيتي، كريم عطيوي، فاضل طعمة، سمير عبد محمد، منصور السعيد، عبد الأمير علوان، عدنان خليل، بينما كان حضور صاحب احمد وحسني أبو المعالي قليل جدا، إضافة إلى فنانات تشكيليات. كما أقيمت معارض في الدور نفسها ومنها معرض نحت للفنان علي بدكت وفاضل طعمة أيضا.

ومن الحوادث الطريفة رسم الفنان هاشم الطويل

في إحدى لوحاته موضوع عمال البناء (الكراكة)، وهم يركضون خلف اللوريات وكتب على القريبة منها وسط اللوحة (لا تكن للعيش مجروح الفؤاد إنما الرزق على رب العباد) هذا العمل سبب له مشكلة مع ممثل البعث المجرم عبد اللطيف الدارمي مما اضطره إلى تركه بلا عودة، وانسحب جميع الحضور معه، بعد أن فُسر البوستر على أنه إيحاء ديني، مما أدى إلى عدم عرضه في المعرض. وقد أسدل الستار على هذا المحفل الثقافي في سنة ١٩٨٣، بعد أن انشغل الشعب العراقي بالحرب وسخرت كل موارده كوقود لإدامتها، ولولا ذاكرة البعض لانطوت صفحة مهمة من تاريخ النسق المعلن لشارع الثقافة الكربلائية بكل هذا الثراء والحب.

رابعاً: الدار الوطنية وباعة الصحف اليومية

في نهاية السبعينات نضجت فكرة إنشاء الدار الوطنية – فرع كربلاء، افتتحها الأستاذ طارق الخفاجي الذي كان في تنافس مع الأستاذ هادي الحكيم (أبو فينوس)، وحصلت مراضاة بينهما، فأصبح الأول مدير إعلام المحافظة، بينما يتسلم الثاني رئاسة الدار الوطنية فرع كربلاء، كان موقع الدار في العباسية الغربية – شارع الإمام علي عليه السلام، في مُلك يعود لمهجرين باسم مهدي سنّية وهم من القومية الفارسية، كانت تأتي إلى الدار أغلب الإصدارات العراقية والعربية إضافة إلى الصحف والمجلات، وكان لديها معرض دائم للكتاب في ما بين الحرمين الشريفين. كما كانت في الدار خدمة كبس الهويات والاستنساخ والبيع المباشر. كانت الصحف تأتي للدار في الساعة الثالثة والنصف ليلا وتوزع عند الصباح إلى الوكلاء من أصحاب المكتبات. ومن منتسبي الدار الوطنية ندى إبراهيم التي هاجرت إلى السويد، والأستاذ نجم الذي أصبح صاحب مكتبة في باب بغداد – عمارة التأمين، والمرحوم أجود أبو حيدر وآخرون. وكان الأستاذ علي الفتال قد تسلّم إدارة الدار في فترة غياب المنصب من شاغله. أما آخر مدير عام للدار الوطنية في بغداد هو الأستاذ سبتي (أبو مصطفى) وأصبح المتعهد الرئيس لتوزيع الصحف في بغداد.

كانت السيارة الخاصة بالدار الوطنية تحمل حصص محافظتي النجف وكربلاء، تذهب أولا إلى محافظة النجف لتفريغ حصتها، وبعدها تعود إلى كربلاء لتفريغ حصتها من المجلات ومنها (الفنون وألف باء والصياد والشبكة والموعد وسمر والعربي الكويتية إضافة إلى إصدارات دار الشؤون الثقافية والمأمون والحكمة وغيرها من الدور)، كان لكل صاحب مكتبة رف خاص به، توضع حصته فيه، ويكون التسديد أسبوعيا، بعد عزل المرتجع أو المتبقى عن طريق قص شريط أعلى الجريدة الذي فيه تاريخ الإصدار والعدد ويذهبون بها إلى المحاسب دون إرجاع الصحف غير المباعة، ويتم الاحتفاظ بالشريط خوفا من أن تأتي لجنة متابعة من بغداد وتطلب أشرطة الصحف غير المباعة، وليبقى أرشيفا في المكتبة، ليقوم المحاسب بخصم المبلغ ومن ثم يقوم أصحاب المكتبات بإيداع المبلغ في مصرف

الرافدين الذي يحوله بدوره إلى حساب الدار الوطنية في بغداد[٢٨].

تسلَّم الدار الوطنية بعد الأستاذ هادي الحكيم الأستاذ كاظم فاضل زوج أخت موزع الصحف والمجلات «حسين إبراهيم» حيث يعد الأخير أقدم بائع وموزع للصحف في المحافظة وهو صاحب كشك مكتبة الشهيد في منطقة باب الحسين، عندما انتهى تفرُّغُ الأستاذ كاظم وعاد إلى دائرته دائرة المجاري – فرع الحسينية، تسلّم حسين إبراهيم منه وكالة الدار الوطنية، وبعد أن أتى غازي الديراوي كمحافظ لمدينة كربلاء عام ١٩٨٥م، حلَّ الدار الوطنية، وحولها إلى مجموعة متعهدين، لم يكن بيع الصحف والمجلات مقتصرا على أصحاب المكتبات، بل كان الباعة المتجولون رافدا إضافيا لنشر الثقافة في الأسواق والخانات والمقاهي، ومن ضمنهم تركي جاسم في عين التمر، وجاسم مسن الذي يبيع الصحف على الفرقة الحزبية في قضاء عين التمر والمقاهي وفي الأسواق، ولكن الفرقة الحزبية لم تكن تعطيه قيمة الصحف التي يستلمونها منه، ما اضطره إلى تركها، وبعد السقوط لم تعد الصحف تصل إلى هذا القضاء. كذلك نجاح أموري أبو مؤيد في ناحية الحسينية الذي يبدأ عمله في بيع الصحف من حي ٧ نيسان والعطيشي عند نقطة سيطرة (٥٦) الحالية عندما يتسلّمها من صاحب السيارة الذي يجلب الصحف من بغداد، لينزل مشيا على الأقدام على المحال والمناطق والقرى ليبيع صحفه على المحلات وللعسكريين والدوائر الحكومية ومدير الناحية، وكان الكثير منهم ينتظره، حتى أصابته جلطة أجلسته في بيته، ولم يخلفه أي من أولاده أو أصدقائه، ولم يكرر التجربة أي شخص آخر. وكذلك الحاج نزار أبو إبراهيم يبيع الصحف في قضاء الهندية ومركزها طويريج، وهو رجل مسن وقديم في هذه المهنة، وكذلك سعد كمال أو سعد الأخرس ولكنه يسمع، وهو بائع صحف قديم، ومازال يبيع الصحف حتى الآن[٢٩].

باعة الصحف اليومية المتجولون، هذا هو حالهم منذ أن بدأت هذه المهنة في ثلاثينات القرن الماضي وحتى ساعة كتابة هذه السطور يعانون التعب نفسه إذ يتجولون على الأقدام يوميا منذ الساعات الأولى وحتى المساء يعانون المشاكل نفسها وتترصدهم المعاناة نفسها، ونتيجة لكل هذه المعوقات اخذ عددهم ينخفض حتى بلغ عددهم اليوم لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة بعدما كان عددهم في العقود السابقة أضعافا.

ومن الباعة المتجولين في تلك الفترة علي فرهود كانت له علاقة جميلة بجميع زبائنه بسبب خفة دمه ودماثة أخلاقه حتى أن هذه العلاقة جعلته يبيع المجلة والجريدة بضعف سعرها حتى أطلق الناس عليه هذه التسمية علي فرهود، ترك مهنة بيع الصحف في بداية الثمانينات وهاجر إلى خارج العراق لأنه كان ملاحقا من قبل رجال الأمن الذين اتهموه بالانتماء للحزب الشيوعي وهو لا يزال هناك يدير شركة للصيرفة، عدد الباعة المتجولين كثير، وكل واحد له قصة لا يسع الوقت إن أدونها جميعاً لكن أود أن اوضح أن من بين الباعة المتجولين كانت تبيع الصحف اليومية تدعى أم كمال كانت تعيل عائلتها المتكونة من ١١

فردا اغلبهم إناث من مورد محصول البيع كانت تبيع جميع أنواع المجلات حتى أن عددا من زبائنها كانوا يخافون منها وكانوا يعتقدون أنها وكيلة بالأمن لكن رجال الأمن ضبطوها وهي تبيع مجلة محظورة سياسياً وحكم عليها بالسجن وقد تبرع أحد وجهاء كربلاء بالتوسط لدى الحكومة ودفع مبلغ كبير آنذاك وهو (١٠٠٠٠) دينارا وأخرجها من السجن ولكن لم تستمر في بيع الصحف وإنما فتحت معملا لصناعة الجواريب، هؤلاء هم جزء يسير من باعة الصحف المتجولين قديما[٣٠].

ومن الباعة المتجولين في مركز المدينة هو علي حمزة المختار (عوْعوْ) هو أقدم البائعين إذ كانت بدايته مع هذه المهنة في نهاية عقد السبعينات واستمر إلى هذا اليوم وهو بطل من أبطال العراق بلعبة كمال الأجسام وشارك في بطولات محلية عديدة وحقق بعض الانجازات منها المركز الثالث في بطولة الفرات الأوسط كما فاز ببطولة شباب العراق كأجمل جسم. والمرحوم سيد سمير والمرحوم أبو صادق الذي توفي وهو يمسك الصحف، فتسلّمها صديقه جاسم محمد المتقاعد من الجيش بعنوان نائب ضابط، كانوا يضعون الصحف في كيس (جنفاص) صمم على شكل حمالة على الكتف ويوزعونها على زبائنهم، وكذلك رضا وخالد المعوق الذي نزح من بغداد – مدينة الصدر[٣١].

خامساً: تأسيس منتدى الأدباء الشباب

في ثمانينات القرن المنصرم كان أدباء كربلاء يبحثون عن مكان يجمعهم، ليتناقشوا مع بعضهم ويطرحوا همومهم الثقافية فيما بينهم، وصادف وجود منتدًى للشباب في العباسية الغربية قرب المستوصف الصحي يمارس فيه الفنانون التشكيليون نشاطهم التشكيلي وهم كل من أياد الباشا وأخيه كمال الباشا وفاضل نعمة وبدعم مباشر من قبل الأستاذ طارق الخفاجي الذي كان مدير إعلام المحافظة في حينها، وهناك أيضا مجموعة من الشباب فكّرت بإنشاء منتدى للأدباء الشباب ومنهم عدنان الموسوي الذي سمّي في حينها رئيسا للمنتدى وعلاوي كاظم كشيش وعقيل أبو غريب وماجد الوجداني وهاشم معتوق و«فاضل عزيز فرمان»[٣٢] وعلي حسين عبيد، ولما لم يكن هناك سوى هذا المنتدى المهتم بالنشاطات الأدبية والثقافية فقد اسهم الأدباء الكبار من الجيل الذي سبق جيل الشباب ومنهم باسم الحمداني وعودة ضاحي التميمي وهادي الربيعي فيه. وقد أفرز هيأة إدارية تتألف من (حسن النواب رئيسا، عقيل أبو غريب مسؤول الشؤون الثقافية، خالد الخفاجي، رفعت المنوفي أمين سر)، وقد أعدوا برنامجا قدمت من خلاله مجموعة من الأماسي والتي هي عبارة عن قراءات للشباب المؤسسين للمنتدى ومنهم (عمار المسعودي، عماد العبيدي، أحمد آدم، ظافر السعدي، أياد حياوي، علي الخباز، أحمد حسون)، ولكن هذا المنتدى الذي أقيمت فيه أمسيات متقطعة سرعان ما اضمحل.

عاد المنتدى بحلّة وبمبادرة جديدة من منتدى الأدباء الشباب في بغداد وبمكان آخر في بيت تعود ملكيته لعقارات الدولة في كراج البارودي وبرئاسة خالد الخفاجي واستمر لأكثر من ثلاث سنوات، أقام عدة أماسي الأدباء الشباب والكبار والرواد كافة واستضاف العديد من الأدباء من خارج المحافظة ومنهم الأستاذ خزعل الماجدي، وكان من المساهمين فيه الأساتذة حسن النواب وفاضل عزيز ورفعت المنوفي وحسن الفتال. وعلى ما يبدو أن هناك فكرة في الاتحاد العام لتأسيس نواة لفرع الاتحاد في أغلب المحافظات التي يتوافر فيها عدد يقارب العشرين أديبا، ولذلك فقد وصل توجيه من الاتحاد العام بافتتاح فرع للاتحاد بهيأة تأسيسية تمت تسميتها من قبل الاتحاد برئاسة الأستاذ جاسم عاصي وعضوية كل من هادي الربيعي وفاضل عزيز فرمان وعلاوي كاظم كشيش وعلي الفتال والمرحوم عبد الحسين خضر وعدنان الغزالي، ولما لم يكن للاتحاد مقرٌ فقد اقترح الفنان المصور صلاح حيدر أن يكون مقر جمعية المصورين العراقيين فرع كربلاء مقابل البريد مقرا وقتيا تقام فيه الاجتماعات والأمسيات، وقد تعاونت نقابة المعلمين برئاسة الأستاذ (غازي الشمري) وقدمت القاعة لإقامة الأماسي. وقد تم إجراء الانتخابات بين الأعضاء لتحديد المسؤوليات فكان جاسم عاصي رئيسا وفاضل عزيز نائبا وهادي الربيعي مسؤولا عن الشؤون الإدارية وعلاوي كشيش مسؤولا عن الشؤون الثقافية. ولكن في التسعينات وبالتحديد في تموز من عام ١٩٩٥م، وبعد أن أصبح في كربلاء العدد الكافي من الأعضاء جرت الانتخابات لإفراز أول هيئة إدارية بعد الهيئة التأسيسية وقد فاز في هذه الانتخابات كل من مرشح حزب البعث المقبور عبد اللطيف الدارمي رئيسا وجاسم عاصي وهادي الربيعي وفاضل عزيز فرمان وحسن النواب، واستمر حتى عام ١٩٩٨م، وأعقبه الشاعر حسن النواب رئيسا الذي لم يدم لأكثر من سنة ونصف السنة حيث الأخير تمرد على الوضع السياسي والثقافي العام في البلد، ففضل عيش حياة الصعاليك.

المبحث الثالث: تناقض وتنافر فئات المثقفين

أولاً: اللفو والعجمي وكتّاب التراث

على ما يبدو أن المرحلة التي مرَّ بها الكُتاب والكتبيون إبّـان الثمانينات والتسعينات، كانت فترة حرجة ينحصر فيها المثقف بالعموم عند عنق الزجاجة، ويكاد يكون مثقفا منهزما إن لم يكن منهزما فعلا، فقد افتعل النظام السابق البطولات الافتراضية وأعلى قيمة الموت على الحياة تحت عنوان الشهيد وأقام له يوما خاصا به، مثلما أقام للحروب والمعارك مناسبات واحتفالات في مقابل انعدام أية مناسبة وطنية للحياة أو للإنسان، فيما أقام لنفسه وحزبه عيد ميلاد اختصر فيه الشعب ليكون هو القائد في شعب والشعب في قائد.

ولو سألنا أنفسنا كم أديبا إبان تلك الفترة أو في آخر العقدين من القرن المنصرم كان موجودا على الساحة الثقافية؟ سنجد أن أعدادهم ليست بالكثيرة،

وهذا ينعكس جليا على نتاجهم الأدبي، الذي لا يتعدى بعض دواوين الشعر والمجاميع القصصية والروايات، بالإضافة إلى الكتب التي تهتم بالتراث والتاريخ الحديث. فقد انبرى في الوسط الثقافي أكثر من شخصية يهتم بالتراث الكربلائي ولعل أبرزهم الأستاذ سلمان هادي آل طعمة، والأستاذ سعيد زميزم، والأستاذ علي الفتال، وبينما راح الأستاذ طعمة يكتب عن كل ما هو متسيد ومركز ومعلن منذ بداية القرن المنصرم، ولم يقترب للوسط الأدبي من قريب أو بعيد، ومن مؤلفاته التي تفوق الخمسين هو (مشاهير المدفونين في كربلاء، عشائر كربلاء وأسرها، تراث كربلاء، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري...الخ)، ومثله كتب الأستاذ زميزم، والدكتور علي الفتال وهو أديب ومؤرخ ومهتم بالتراث.

وهناك عدد آخر من الكتاب والباحثين الذين كتبوا موضوعات مهمة في ميدان التراث الشعبي الكربلائي، ومنهم الفنان المسرحي عزي الوهاب، الذي نشر بعضا من كتاباته في بعض الصحف والمجلات العراقية، الذي تميز بسرد الحكاية الشعبية التراثية بطريقة مؤثرة. وهناك أيضا الكاتب ضياء النصار، الذي نشر مجموعة من المقالات التراثية في مجلة التراث الشعبي العراقية، وبرز في هذا المجال، الكاتب علي ضياء الدين، والراحل علي النوري، ومن النساء المهتمات بالتراث في كربلاء الكاتبة نبيهة الزبيدي، التي أولت التراث الشعبي اهتماما كبيرا، ومن كتاب التراث في كربلاء ايضا هو الباحث حسن عبيد عيسى، والباحث حسين على الجبوري (أبو تغلب)، والمرحوم هادي الشربتي، والأديب سعيد بهاء مهدي والسيد عبد الأمير آل عوج، والكاتب مهدي هندو.

والسؤال لماذا اتجه هؤلاء الباحثون إلى كتابة تاريخ كربلاء الحديث، بل وألقوا بكل ثقلهم على ذلك؟ اعتقد أن السبب من وراء ذلك أن مدينة كربلاء كانت مثل بناية وسط صحراء تتعرض باستمرار للتعرية فتأكل من جسمها شيئا فشيئا دون أن يبدو ذلك واضحا للآخرين، والقلة القليلة التي استشعرت هذه التعرية وبدأت تعمل بجد من أجل توثيقه على أقل تقدير بداية القرن المنصرم.

فقد تعرضت مدينة كربلاء القديمة – المركز، إلى حملات توسعة وتجريف، كانت مثل بستان كثيفة الأشجار، بأفرعها الرئيسة والفرعية وأزقتها الضيقة، وأسواقها المتداخلة كأنها دهاليز يسير فيها السائح أو الزائر وكأنه يقتفي أثر أفعى. وأدت تلك التوسعة سواءً إلى خدمة المدينة وفتح أسواقها، أو كعقوبة من قبل الأنظمة إلى اندثار أسواقها، وتجريف معالمها واختفاء أماكنها التراثية ومحو ذاكرتها الثقافية، إذ إن المكان أحد أهم الركائز التي يتكئ عليها الشارع الثقافي إن لم يعدَّه البعض الركن الرئيس في تأسيس الذاكرة الثقافية للمدن.

والوجه الثاني لهذا التوثيق أن العراق كبلد لم يأخذ استقلاله عن الاحتلال العثماني بل استبدله بالاحتلال البريطاني بعد اتفاقية سيكس – بيكو لينتهي الحكم الملكي بانقلاب عسكري، ويتبعه انقلاب آخر، وكان في كل تحول سياسي يحدث فراغ

مجتمعي يؤدي إلى هجرة خارجية وداخلية، تؤثر في منظومته الثقافية حتى أصبح الفرد الكربلائي أقرب إلى الشخصية (الكوزموبولوتية)، ملابسه شبه هجينة ويتكلم بأكثر من لغة ويتناول أكثر من نوع من الطبيخ، فقد كانت الهجرة الخارجية تأتي من دول الجوار وقد اعتاد الإيرانيون زيارة العتبات المقدسة في العراق ومنها كربلاء وبعضهم يستهويهم أهلها وأرضها فيفضلون السكن والاستقرار فيها، والهجرة الداخلية المتمثلة بأبناء البلد من المدن الجنوبية، فقد كان أهلها باستمرار يتعرضون لانتهاكات من قبل الدول الغازية ودخولها عن طريق البصرة، ومقاومتهم له، ولأنها أراضٍ زراعية بامتياز فقد تمركز عندهم الإقطاع والاستغلال بشكل فاحش، ولكن ما تعرضت له المحافظات الجنوبية من تمركز المعارضة لنظام البعث المجرم، ورمي ثقل الحرب العراقية - الإيرانية على جنوب العراق، وتجفيف الأهوار، دفع بأفواج من الأهالي للسكن بالفرات الأوسط ومنها كربلاء، التي كانت تنعم بنوع من الأمان، إضافة إلى كونها تعتمد في تدبير اقتصادها على التجارة والصناعة وخدمة الزائر والسائح.

كان مع النازحين الكثير من المثقفين الذين كانوا جزءا من النسيج الثقافي العراقي، وأصبحوا جزءا من النسيج الثقافي الكربلائي، ولكن لم يكن ذلك ليمر بسهولة، وربما هو التزاحم الطبيعي في كل المهن والحرف، وقد انعكس ذلك بشكل فاضح من خلال النفور الكبير الذي بدا واضحا بين مثقفي المدينة، وشيوع كلمة (لفو) في هذا الوسط، حتى أضحى يشكل وصمة عار في جبينه، وكان هذا التنافر ينعكس فيما بينهم في عدم اعتراف بعضهم ببعض، ويتجلى ذلك واضحا في حالة الغضب أو الاستفزاز، فكان ابن المدينة ينبز القادم من الجنوب بأنه (لفو) بينما ينبزه ابن الجنوب بالعجمي، ولم يكن ليشفع لهما كل الثقافة التي يمتلكها أغلبهم، لأن الثقافة سلوك قبل أن تكون ثقافة ذهنية أو مصطلحية. هذا النسق الثقافي المعلن كان في أحد أوجهه هو الدفاع عن النفس قبل أن يكون في جوهره أو ظاهره الدفاع عن شارع الثقافة الكربلائية، والدليل عندما يتعرضون إلى خطر حزب البعث المحظور والمقبور كانوا يتحدون وبمجرد أن يزال هذا الخطر فإنهم سرعان ما يعودون للتنافر، ومن جهة ثانية يؤشر إلى أن الرواسب البدوية لا زالت تعتلج داخل الفرد العراقي، التي تميل إلى الهجاء والسب والشتم والبذاءة.

ثانياً: المدني والمعيدي

لم يكن النسق الثقافي المعلن بين المثقفين والذي انعكس جليا من خلال الشارع الثقافي بكل تشكلاته يستقر على التنافر المحصور بين اللفو والعجمي، بل تجلى من خلال الهرب من مواجهة هذا الواقع الثقافي المؤلم، وكانت وجهة هرب الأدباء والكتاب إلى الأردن ولبنان وسوريا، فاندرج بعضهم للعمل في الحوزات الدينية أو الصحف والمجلات ككتاب أعمدة أو مقالات ثقافية أو مصححين لغويين، بينما فضل البعض الآخر إكمال الطريق إلى أوربا والاستقرار نهائيا فيها.

ان الأنساق الثقافية المعلنة في شارع الثقافة الكربلائية وتفاعلها يفرض سؤالا قوامه: لماذا لم

يحاول الشارع الثقافي الكربلائي ارتداء لباس الثقافة الحقيقي واحتضان القادم في كونه قائما، مثلما لم يحاول القادم الدخول بشكل طبيعي بدل القوة والتزاحم والتدافع ومحاولة إزاحته أو التغلب عليه أو سحقه؟ أعتقد أنه نزاع أصله اجتماعي وتجلى ثقافيا، فقد كان ينظر أصحاب المهن والحرف إلى القادم من الأرياف على أنه (معيدي) وبالخصوص أصحاب تربية الحيوانات وبالخصوص أهل الجواميس أو (الجمس) والأبقار. ما يعني أن ابن المدينة القديمة كان ينظر بدونية إلى أهالي النواحي والأرياف على أنهم أقل منه ثقافة ولا يمكن إنساب ذلك لوجود بعض العجم فيها ويحاولون جعل القادم منهم متهما ومزدريا واجبه الدفاع عن نفسه، لأن هذه النظرة تتعدى إلى محافظات الفرات الأوسط مثل محافظة النجف والتي يشاع عنها أن الغريب يصعب عليه العيش فيها، وهم من أجل أن يزدروه ينادونه بالـ(غْريبْ) ونجد هذا النفس المناطقي موجودا في محافظة الديوانية كما أخبرني أحد الأصدقاء من أهلها، وبالرغم أن هذه المحافظة الكريمة سكنها الصابئة واليهود. نخلص إلى أن الأعاجم لم يكونوا السبب الرئيس للدفاع عن وجودهم وإزاحة ابن البلد المهاجر بازدرائه ونعته بـ(اللفو) وإنما محاولة أهل المدينة الحفاظ على خصوصيتهم والدفاع عن هويتهم من خلال تنحية الآخر، كل هذا الفعل الاجتماعي كان الوجه الحقيقي للتفاعل الثقافي وانعكاسه على ثقافة المثقف وسلوكه.

إن عدم تقبل الشارع الثقافي أو المثقف للآخر، وكأنه في ذلك ينزح في سلوكه إلى كائن وحشي يحدد منطقة نفوذه ويرفض اقتحامها من قبل الآخر، ويكاد يكون هذا نسقا ثقافيا عالميا، فكل ثقافة تحاول أن تدافع عن نفسها من خلال رفضها للآخر حتى لو كان هذا الآخر مبدعا ومتميزا. ولعل النسق الثقافي الفاضح لبعض مثقفي أو عراقيي الخارج في ادعائهم الحنين و(الهومسك) إلى وطنهم وأن المانع من ذلك هو وجود الطاغية في سدة الحكم هو مدعاة للسخرية، والدليل أنه بعد تهاوي الصنم لم يعد أي منهم إلا النزر اليسير الذين كان همهم الحقيقي هو الخوف على بناتهم من الانحراف والضياع في دهاليز ثقافة تلك الشعوب، وربما أنا أعذرهم في ذلك، فمن يقيم أكثر من عقدين في بلد ويشعر بالحرية من حيث لا يشعر، وتنشأ عائلته وسط هذا الاهتمام والاحترام، إضافة إلى أن من تطبع بعادات وتقاليد وأنساق الثقافة العامة لتلك الشعوب يصعب عليه العودة والتأقلم مع مجتمع آبائه من جديد. ولذلك انقسمت عوائلهم على قسمين بين من يريد الرجوع ومن يريد البقاء. وقد ذكرت في أكثر من مكان أن الرهان الثقافي في الغرب لا يتم على الجيل الأول، بل على نصف الجيل الثاني وكل الجيل الثالث[٣٣].

ثالثاً: عراقيو الداخل والخارج

إن أغلب بلدان العالم كانت في الأصل قبائل تناثرت وتكاثرت وتحولت إلى مجاميع تشبه الدول حتى أصبحت دولا بكيانات مستقلة ثم سعت إلى تطوير نفسها وتكوين خصوصية ثقافية لها بمعزل عن الشعوب الأخرى، ولم يكن ذلك ببعيد عن الدول العربية، فقد كانت البيئة الحاضنة للثقافة في التجمعات العربية سابقا هي القبيلة، وعندما تحولت

هذه القبائل إلى حكومات وأنشأت الكولنيالية لها دولا أو أن الحتمية والضرورة التاريخية والدولية دفعت بذلك إلى أن تكون تلك التجمعات جغرافيا دولا وشعوبا لها حدود وثقافات مختلفة عن بعضها البعض.

وقد توارثت تلك المجتمعات القبلية والتي رفضت التخلص أو التنصل أو ترك عصبيتها توارثت أنساقا ثقافية، من أهمها أن تكون القبيلة راعية لولادة الشاعر الذي يتفاخر بكرمها وشجاعتها والتغني بأطلالها، بل رفضت أن تتحول من أمة شاعرة إلى أمة راوية، أو من أمة حالمة إلى أمة ساردة واقعية، وسينعكس ويتجلى تصرفات كل الحكومات المتعاقبة من خلال هذا النسق المعلن في نظرتها للثقافة والمثقفين، في كونهم أبناء القبيلة الواحدة ولا يمكن لأي منهم أن يكون مختلفا عنهم أو يعلن أفكارا مغايرة ومخالفة لتوجهات القبيلة حتى لو كان توجهه في الطريق الصحيح، بمعنى أن سمة الاختلاف في وجهها المخفي أو المعلن هو خيانة يستحق عليها المثقف عقوبة الموت أو النفي والثقافة إلى المحو والاندثار.

ولعل من أبرز الأنساق الثقافية المعلنة في الشارع الثقافي، أن المحافظين الذين توالوا على كربلاء من عام ١٩٧٥م وحتى عام ٢٠٠٣م، لم يرعوا يوما أدباء وكتاب المحافظة على المستوى الحقيقي والجدي، من خلال تخصيص عرصة أو بناية حقيقية للاتحاد كمؤسسة أو منظمة مجتمع مدني منذ كانت هذه المحافظة لواءً يضم مساحات شاسعة من الأراضي الصحراوية والزراعية بما فيها الأقضية والنواحي، وحتى بعد أن تحولت إلى محافظة وحرمانها من الحدود مع الدولة الجارة المملكة العربية السعودية، ظلت تدور في فلك السياسة دون أن ترعى الثقافة كمؤشر بياني لنبض المجتمع وتوجهاته وطموحاته وكمواهب خاصة لبعض المبدعين، وإنما أرادت أن يكون المثقف مسخا لإرادتها وأن تكون الثقافة هي الصوت المعبر عن أيديولوجيتها. فعملت بجد على إقامة المهرجانات التي تعضد نظامها السياسي، وتمثلت هذه الجدية بدعوة الأدباء والكتاب لينشدوا لها أحلى الشعر وأعذبه ويخطب الخطباء ويكتب القصاصون أجمل القصص والروايات، وخير دليل على ذلك هي المهرجانات التي تقام على الرقعة الجغرافية في العراق كله ومنها مهرجان المربد الذي كان تخفق له قلوب الأدباء العرب قبل أدباء العراق.

ولم يكن أغلب الأدباء يرفض تلك الدعوات، وبالحقيقة الأوامر إلا إذا اعتزل بعضهم الأدب نهائيا وهذا ما ندر وشذ، هذه المشاركات الإجبارية القسرية ستصبح فيما بعد وصمة عار في سجل الأدباء، دون أن يعذرهم أدباء الخارج، لكونهم في الحقيقة ليس لهم القدرة على مواجهة أو رفض أوامر نظام البعث، وان من يتهمهم بمثل هذا الاتهام هم في الحقيقة كانوا على مستوى واحد من قلة الحيلة وضعف المواجهة وفضلوا الهرب والاحتماء بالأنظمة الديمقراطية التي كانت تمد النظام السياسي الحاكم في العراق بالأسلحة والعتاد، وكأنهم يقولون لعراقيي الداخل اذهبوا انتم وربكم قاتلوا إنا ها هنا قاعدون، لقد خلق نسق المهرجانات المعلن طبقة ثقافية من الأدباء ترتزق على هذه المهرجانات التي تهب المنح الكبيرة المادية كما

تصنع مجدا ثقافيا وتكسبه خبرة وعلاقات اجتماعية أدبية. وهذا يجعل أدباء الخارج في حيرة من أمرهم كما هم أدباء الداخل، أو لنقل في مفترق طرق.

الطريق الأول لأدباء الخارج هو حرمانهم من الأضواء والتلاقح مع أدباء الداخل من مختلف الأجيال والمحافظات وكذلك أدباء العرب، ولكنهم يعيشون في سلام وأمان دون ترهيب أو ترغيب، ونضوب البعض منهم بعد أن حصل على الاستقرار المادي والمعنوي، وانغمس في الحياة الجديدة وتعقيداتها الإجرائية من أجل الحصول على الإقامة المؤقتة ومن ثم الدائمة وغيرها من التفاصيل للاندماج في الحياة الجديدة، بمعنى أصبحت لهم مشاغل واهتمامات غير اهتمامات الأدب والوطن، ولذلك ترى البعض يتكئ على الذكريات في كتابته، ويحاول البعض الآخر مد أواصر التواصل مع عراقيي الداخل رغم الانقطاع الإجباري بينهم لأكثر من عقدين والسبب هو محاولة التواصل من جديد.

أما الطريق الثاني لأدباء الداخل، فرغم العلاقات والتألق والإنتاج كانوا يعيشون ازدواجية النسق المعلن في إعلان الولاء وإضمار الكراهية للنظام، إعلان الولاء والاستفادة القسرية من هباته فلا منفذ غير هبات السلطان وكذلك الأمان من خلال الانضواء تحت عباءته، سواء في الحرب من خلال الكتابة للصحف والمجلات ومحاولة الانزواء في التوجيه العسكري أو الدوائر المدنية، أو في الحصار عندما كان الجوع يقف على أبوابهم مثل فقير هدا العوز.

وأعتقد أن السبب الجوهري لهذا النسق الثقافي المعلن من قبل النظام البائد وأحيائه المهرجانات الأدبية وبالخصوص الشعرية منها، هو ميل الإنسان العربي والعراقي إلى السماع أكثر منه إلى القراءة، وأنه لمؤشر خطير إن يذهب المسؤولون السياسيون أو الراعون للدولة إلى السماع المشوب بالعاطفة وتأثيره الآني مع غياب التأسيس الصحيح للثقافة النابتة، بدل القراءة واكتشاف الأشياء، لأن المستمع للشعر يتأثر بالقارئ أكثر من النص الشعري نفسه، والى ذلك يعمد الشاعر في الإلقاء والانفعال. فمنذ تأسيس أكبر جائزة عالمية تعنى بالأدب وهي جائزة نوبل لم تمنح يوما هذه الجائزة للشعراء إلا ما ندر ومنهم طاغور على سبيل المثال، وكانت تمنح في الأكثر إلى الروائيين من الذين سجل أدبهم تاريخ أممهم وآلام البشرية بصورة عامة، كون الرواية تميل إلى التفكير والتأمل، تميل إلى كتابة التاريخ والجغرافية، والى فلسفة الأشياء بطريقة عقلانية وليست انفعالية[٣٤].

المبحث الرابع:

أولاً: تأسيس سوق السرداب للكتب

بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١وتجريف المناطق المحيطة بالإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام وما بينهما وفقدان الكثير من أصحاب المحال أماكن رزقهم، بدأ الكثير منهم يبحث عن مكان لإيوائه من التشرد، بالخصوص بعد أن طبقت على العراق العقوبات الاقتصادية وبدأ الناس يشعرون بالضائقة المالية.

استأجر الأستاذ مهدي عبد الرزاق أبو طحين أول محل في السرداب الواقع في سوق الخفافين (النعلجية) الذي كان يبيع الملابس النسائية (الكماليات) إلا أن هذا النوع من المهن بدأ يضعف لفقدان العملة العراقية قيمتها وتضخم الأسعار، وضعف الدخل اليومي للفرد، وكان اسم مكتبته (المتنبي) كان يخرج بسطية عند باب السرداب.

تبعه الأستاذ محمد كاظم صاحب مكتبة المنتظر، ومن ثم الأستاذ أحمد عباس، وكان في السرداب الأستاذ هاشم الخياط، الذي عندما رأى توجه السوق نحو الكتب، باع أغراضه وتحول لبيع الكتب، وتبعه خياط آخر وهو الأستاذ ستار هادي (أبو محمد) حيث امتهن بيع الكتب، وشيئا فشيئا تحولت محال السرداب كلها إلى سوق المكتبات لبيع الكتب الدينية حصرا، وبعض الكتب الفكرية والأدبية والفلسفية.

كان سوق السرداب – سوق الكتب – مرصودا من قبل رجال الأمن، وكثيرا ما كان يحصل تفتيش له، كما كانوا يرسلون بعض رجالهم متنكرين للسؤال عن كتاب ديني ممنوع، ليقع صاحبه في قبضة الأمن أو رجال البعث المقبور، ففي أحدى المرات جاء ضابط أمن من مدينة بابل غير معروف من قبل أصحاب المكتبات، وقصد مكتبة الهدى يسأل عن كتاب الأربعين، وبعد فترة أرسل معلومات عن السوق وصاحب المكتبة وتم إلقاء القبض عليه وحبسه لمدة ستة أشهر.

كان عمل سوق الكتب يزدهر في يومي الخميس والجمعة لتوافد الزائرين على كربلاء بقصد الزيارة، والمرور بالسوق لشراء الكتب الدينية والزيارات، إضافة إلى المناسبات والاحتفالات الكبرى. وكانت الكتب المطلوبة في فترة التسعينات للسيد محمد باقر الصدر وعبد الحسين شرف الدين، والخميني وغيرها.

وظل هذا السوق صامدا رغم تعثر الأوضاع الاقتصادية في عموم العراق، ولكنه ظل مصدر الكتاب الثقافي بمختلف أنواعه، كما أن كل من يريد كتابا مهما أو مخطوطة نادرة كان يلجأ إلى هذا المكان، كما أن الكثير من الكتبيين كانوا يطوفون المحافظات من أجل شراء الكتب النادرة أو المهمة والمؤثرة في تاريخ العراق وعرضها في سوق السرداب ومنهم عادل السلامي (أبو سيف) الذي كان يقصد مدينة الموصل الحدباء ويطوف على مكتبة الميثاق والنقشبندية، وكذلك مكتبة أبو وسام، مكتبة خالد وغيرها من أجل اقتناء المخطوطات النادرة والكتب التي طبعت مرة واحدة وأصبحت مفقودة في سوق الكتب في كربلاء[٣٥].

ثانياً: النتاج الأدبي من الشعر والقصة والرواية

استعرضنا الكثير من تفاصيل النسق الثقافي المعلن للحكومة وكذلك للأدباء، وحان الآن موعد الحصاد للنتاج الأدبي (الشعر، القصة، الرواية، النقد)، إذا ما أخذنا في نظر الاعتبار أن فترة الستينات والسبعينات تكاد تكون ضعيفة جدا، ولم تؤشر منتجا ثقافيا كربلائيا معلنا باستثناء المرحوم الشاعر محمد علي الخفاجي الذي أصدر «شباب

وسراب ١٩٦٤م»، «مهرا لعينيها ١٩٦٥م»، «لو ينطق النابالم ١٩٦٧م»، «أنا وهواك خلف الباب ١٩٧٠»، «لم يأت أمس سأقابله الليلة ١٩٧٥م»، كما أصدر الشاعر شاكر البدري مجموعته الشعرية تحت عنوان (لمن يبتسم الصباح) وأصدر باسم يوسف الحمداني ديوان تحت عنوان (قراءة في دفاتر المطار) عام ١٩٧١م، ومجموعتين شعريتين (مرافئ الظلال، فارس الصمت) واصدر علي الفتال مجموعته الشعرية (براعم صغيرة)، وأصدر القاص والناقد جاسم عاصي مجموعة قصصية تحت عنوان « الخروج من الدائرة» قصص عن دار الشؤون الثقافية عام ١٩٧٤م.

بينما تكاد تكون فترة الثمانينات ضعيفة الإنتاج، بسبب اندراج كثير من أدباء وكتاب محافظة كربلاء في الجيش، فقد أصدر جاسم عاصي مجموعته القصصية «خطوط بيانية» عن دار الرشيد عام ١٩٨٠م، وأصدر المرحوم صاحب الشاهر المجموعة الشعرية (أيها الوطن الشاعري)، عام ١٩٨٣م، ومن ثم أصدر جاسم عاصي مجموعة قصصية أخرى «الحقيبة» و «الحفيد»، عام ١٩٨٨م، بينما أصدر فاضل عزيز فرمان ديوانه الشعري (بيت الشاعر) عام ١٩٨٩م، وكان أعضاء اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين في هذه المرحلة والتي سبقها هم كل من المرحوم محمد علي الخفاجي، المرحوم صاحب الشاهر، المرحوم شاكر عبد القادر البدري، باسم يوسف الحمداني، محمد زمان، جاسم عاصي، طامي هراطة عباس، عبد الحسين خلف، هاشم معتوق، حسن داود سلمان، حسن النواب، في فترة التسعينات بدأ تحول حكومة البعث من تشجيع مهرجانات الشعر الشعبي إلى النتاج الأدبي، فقد أزدهر الشعر (قصيدة النثر) ويذكر الأستاذ علاوي كاظم كشيش في بحثه الموسوم (الحلم والانتماء) إلى أن المجاميع التي «صدرت خلال فترة حرجة جداً من تاريخ بلدنا شهدت الغرائب والعجائب منذ عام ١٩٩٠م، حتى انهيار الدكتاتورية في نيسان ٢٠٠٣م. ما يربو على الثلاثين مجموعة شعرية، كتب عن بعض منها في الصحافة بينما ترك القسم الأكبر منها إهمالا أو تطبيقاً لمبدأ شائع في وسطنا الثقافي وهو النظرة الدونية لثقافة المحافظات ومقارنتها دائما بالذيل التابع لأدب العاصمة»[٣٦]، وكان أدباء هذه المرحلة هم كل من ماجد الوجداني، عدنان الموسوي، فاضل عزيز فرمان، علاوي كاظم كشيش، رضا الخفاجي، عقيل أبو غريب، عباس خلف. كما ويورد الأستاذ علاوي كاظم كشيش أسماء الشعراء من المنتمين وغير المنتمين لاتحاد الأدباء والكتاب العراقيين – فرع كربلاء ونتاجهم الأدبي بالترتيب الألفبائي سواء أكان عن طريق الاستنساخ (مكتب الزوراء، مكتب المستقبل)، أو صدوره من دار الشؤون الثقافية أو دار الرشيد، أو دور الطباعة العربية الأخرى والأنترنيت، وكما مؤشر في الملحق رقم واحد. باستثناء الشاعر عودة ضاحي الذي أصدر مجموعتين (سيدة الحزن المبجل – ١٩٩٩م) و(لكم أتمنى– ٢٠٠١م) بدون موافقة رسمية بسبب وجود قصائد حسينية فيهما، وعلى حسابه الخاص وقد نضدهما زهير علي الفتال، ولم يدرجهما الأستاذ علاوي كاظم كشيش في جدوله[٣٧].

أما من كتاب المجاميع القصصية والروايات فهم كل من جاسم عاصي الذي أصدر مجاميع قصصية وكتابين نقديين وبالشكل الآتي: مساقط الضوء ودلالة النهر في القصة والرواية العراقية – ١٩٩٩، ليالي حكايات قصص، صلاة الظهيرة، قصص – ٢٠٠٢م، عن دار الشؤون الثقافية، كما أصدر محمد علي النصراوي رواية جمرات التدوين – ١٩٩٩م، واصدر علي لفته سعيد مجاميع قصصية وروايات وهي بيت اللعنة قصص قصيرة – ١٩٩٨م، بغداد فازت بجائزة الإبداع، مداعبة الخيال، رواية وشم ناصع البياض – ٢٠٠٠م، اليوم الأخير لكتابة الفردوس – ٢٠٠٢م، عن دار الشؤون الثقافية، وأصدر علي حسين عبيد رواية طقوس التسامي رواية – ٢٠٠٠م. ومجموعة قصصية كائن الفردوس– ٢٠٠١م من دار الشؤون الثقافية، وأصدر عباس خلف رواية عدسة الرؤيا – ٢٠٠١م، ومجموعة قصصية وهي فرصة لإعادة النظر – ٢٠٠٢م، وأصدر عدنان عباس سلطان مجموعة قصصية اسمها الغبار – ٢٠٠١م، عن دار الشؤون، كما أصدر طالب عباس مجموعة قصصية اسمها الفضاء السابع – ٢٠٠٢م، عن دار الشؤون الثقافية. وأصدر الشاعر عماد العبيدي رواية الحب وأجنحة النار – ٢٠٠٣م، عن دار الشؤون أيضا.

هذا هو النتاج الأدبي الرسمي الذي صدر عن المؤسسات الحكومية ضمن دور نشرها، دون أن يكون هناك مؤشر لثقافة الاستنساخ الذي يقتصر على دواوين الشعر دون القصة أو الرواية، ومما لم يؤخذ بنظر الاعتبار أن الكثير من أدباء تلك المراحل كانوا يكتبون في الصحف والمجلات نقود ثقافية وينشرون نصوصها شعرية وقصصية.

وهذا هو المشهد الإبداعي للمنتج الشعري والقصصي والروائي لأدباء وكتاب محافظة كربلاء على مدى أقل من نصف قرن تقريبا، مع أن الأحداث الجسام التي تعرض لها البلد وشعبه من المفروض أن تنم عن مخاض ثقافي أكبر يعبر عن المرحلة العصيبة التي مر بها، إذ يقتصر النتاج الأدبي بالعموم على منتج إبداعي واحد إلا من تميز منهم إلى أكثر من مطبوع مع الأخذ بنظر الاعتبار أن ذلك لا يعد تقييما في السيرة الثقافية، إذ لربما ديوان شعر لصاحب الشاهر سيظل خالدا في الذاكرة الثقافية، بينما قد يتعدى البعض الآخر إلى أكثر من منتج لا يرسخ في الذاكرة الثقافية، ولكن ربما نجد العذر لهم بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والتقلبات المجتمعية التي تنعكس بالسلب عليه ما يصعب فيها تبلور فكره وفنه الإبداعي. كما يؤشر عدد دواوين الشعر التي صدرت على مدى أكثر من عقد على ضعف النسق الثقافي المعلن لأدباء وكتاب محافظة كربلاء. ولكنها أفضل من القصة والرواية والكتب النقدية التي صدرت على مدى أقل من نصف قرن تقريبا.

ثالثاً: تمظهرات الأنساق الثقافية الحكومية المعلنة

لربما تكشَّف الكثير من أوجه الثقافة الكربلائية أو النسق الثقافي المعلن لتعاطيها، ففي أيام الحرب العراقية – الإيرانية، كان الكثير من المثقفين وبدل أن يملأ حقيبته بالكعك والخبز واللحم، يملؤها

بالكتب الثقافية والفكرية والفلسفية والروايات وكل حسب رغبته وغوايته، وفي أيام الحصار كان البعض منهم يتناقل الكتاب تحت عنوان الاستعارة، أو من يستطيع أن يشتريه مستنسخا، أما النسخة الأصلية فلا يقتنيها إلا من كان وضعه المادي جيدا.

تبلور النسق الثقافي الحكومي الأول المعلن عندما أمضت الحرب سيفها في وجدان المثقف، بعد أن أطلقت شعارات عدة ومنها للقلم والبندقية فوهة واحدة، ولا صوت يعلو على صوت البندقية، وغيرها من الشعارات الكثيرة التي استخدمت الكلمة بل وأرغمت على أن تكون سخرة أو (السفربلك أو السفربر)، في نظام البعث وأصبحت سلعة رخيصة تباع للنظام بثمن بخس انعكس ذلك حتى على قراءة الصحف من الخلف إلى الأمام، وهو رفض ثقافي للثقافة السائدة، والوجه الثاني للصحيفة اليومية التي ينتهي عمرها الافتراضي عند المساء، ولذلك يستغلها الكثير من الأهالي في مسح زجاج الشبابيك أو فرشها على طاولات البيت أو استعمالها كسفرة طعام تحت الأكل في الرحلات الداخلية أو حتى الجلوس عليها من التعب، كما كان بعض أصحاب مطاعم الكباب يشترون الأعداد الباقية غير المباعة ليجعلوا منها غلافا يلفون بها الأطعمة لمن يريد شراء الكباب (سفري) لعائلته. ولكن كل هذه الأفعال كانت مشوبة بالحذر الشديد لكل هؤلاء الذين يستعملون الصحيفة لغير أغراض القراءة، كانوا أول عمل يقومون به هو رفع صورة القائد الضرورة من الجريدة كونها تتكون من ملازم عدة منفردة ومن ثم ينظفون بها أو يجلسون عليها أو غيرها من الأفعال.

أما النسق الثقافي الحكومي الثاني المعلن الذي كان يتمثل عند الأدباء وهو لقاءاتهم المستمرة إما في المقاهي وكان أشهرها (منتدى الأدباء الشباب) الذي ضربت جذور لقاء الأدباء والكتاب فيه من أواسط الثمانينات، وبدأ ينمو هذا الشعور من خلال اللقاءات المستمرة حتى عام ١٩٩٣م، عندما تم اتفاق مجموعة من الشباب على إقامة منتدى للكتاب والأدباء الشباب، وقد وقع اختيارهم على هذا المكان – منتدى الأدباء الشباب – الواقع في منطقة العباسية الغربية بالقرب من مصرف الطف المقابل لقبلة الإمام الحسين، وبقيَ هذا المنتدى حتى عام ١٩٩٥م، عندما اندمج مع الاتحاد العام للكتاب والأدباء العام – فرع كربلاء، بعد سعي الكثير من أدباء كربلاء إلى ذلك ومنهم الراحل شاكر البدري، لكن اتحاد الأدباء والكتاب المركزي كان يرفض، لأن عدد أعضاء الاتحاد في كربلاء ممن يحملون هوية الانتماء للاتحاد كانوا خمسة فقط.

ففي عام ١٩٩٣م، وفي فضاء مفتوح لا تحده جدران اتفق مجموعة من الكتاب والأدباء الكربلائيين على أن يشكلوا لأنفسهم والمحافظة اتحادا يجمعهم وينظم عملهم الثقافي، كان ذلك الاتفاق قد تم في شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام وبالقرب من (ابن الفهد) بالجهة المقابلة له، بأن يكونوا هم النواة لاتحاد الأدباء، وربما من لا يعرف مناطق وشوارع كربلاء يسأل لماذا كل الاتفاقات تمت في شارع قبلة الأمام الحسين؟

أقول: شارع القبلة يمتاز بعرضه الذي يتيح للمارة الولوج فيه بحرية أكبر مثلما يتيح للأرصفة من أن يفترشها بعض البائعة على أرصفة الطريق وصادف أن كانت المكتبات الأرضية تكون في هذا الشارع من الضفة الشرقية له، من التي تبيع الكتب الثقافية، مما جعل هذه الضفة تموج بالمثقفين، حتى أصبح ملتقى لهم، وكان من الكتبيين الشاعر أحمد آدم وعماد العبيدي والمثقف الأستاذ فاضل أو أفضل، وخاصة في أيام الخميس والجمع من كل أسبوع.

كما كان يلتقي الأدباء في مقهى أبو باسم السلامي وتقع أيضا في العباسية الغربية ليلعبوا الدومينو محاولين نفث سموم غضبهم من خلالها، وكانت أقصى الرهانات التي يلعب عليها هي دفع ثمن المشاريب أو ثمن الدخان، وقلما كان يلتقي الأدباء والكتاب في مقهى الزوراء الواقعة في شارع العباس كونها شبه مختصة بالرياضيين، وكذلك يلتقون عند بعض أكشاك بائعي الشاي وهم أيضا من مثقفي وأدباء المدينة ومنهم الأستاذ حسين أبو الچاي أو حسين تاريخ كونه خريج جامعة بغداد كلية التربية – قسم التاريخ، وكذلك الأستاذ محمد الصفار، الذي كان متبحرا في التاريخ ويجيد كتابة الشعر العمودي والتفعيلة والنثر، وكثيرا ما كان يلجأ إليه الشعراء فيجدون عنده رحابة الصدر والمعونة دون أن يزجر أو يزدري أحدا منهم، كما كان يلتقي عنده المثقفون من الذين يستشكلون على التاريخ في واقعة أو موقف أو تاريخ حادثة.

كانت أغلب الحوارات التي تدور في هذه المقاهي والأكشاك بين الأدباء والمثقفين هي صب جام غضبهم على الحرب التي أكلت شبابهم وأعمارهم، وكذلك في زمن الحصار وبالخصوص بعد الحملة الإيمانية، كما كانوا ينقمون على الدين في عدم إنصاته لتضرعات الناس وتخليصهم من الطاغية، خاصة بعد أن عتمت عتبات الحضرات الدينية من الدعاء والتوسل. في مقابل انغماس البعض الآخر في الدين والتدين حد الدروشة، وكان أيضا كردة فعل على ما يقوم به النظام السابق من استغلال الدين شر استغلال من خلال تحويل الكثير من المرافق السياحية إلى مرافق دينية مثل ساحة سباق الخيل إلى جامع (٩٩) قبة، أو جامع أسماء الله الحسنى، وكذلك صنع لنفسه أسماء بعدد أسماء الله الحسنى، وخط القرآن بالدم وغيرها من الأفعال المشينة.

أما النسق الثقافي الحكومي الثالث المعلن والذي كان يهاجم الفرد العراقي المثقف والمتعلم والبسيط في كل مكان فهي ثقافة الصورة والصوت والشعر الشعبي، ثقافة الصورة الثابتة (الفوتوغرافية) أو الجدارية وهو بمختلف الأعمال والأزياء كعامل بناء وبدوي وريفي وشيخ عشيرة وأفندي وعسكري وأب حنون مع عائلته، وكل ذلك من خلال جداريات تنصب أمام الدوائر الحكومية وفي الساحات العامة وعند أركان الشوارع الرئيسة والفرعية ومن خلال الصور الفوتوغرافية التي تعلق بالحبال بين شارعين أو في الكتب والدفاتر والمفكرات، أو تطبع صورته في الصحون وفي الساعات اليدوية والجدارية.

المؤشرات

نستطيع أن نؤشر الأنساق الثقافية المعلنة للأدباء والكتاب اتجاه النسق الثقافي المعلن الحكومي الآتي:

١. النسق الثقافي المعلن المتوافق.
٢. النسق الثقافي المعلن المنافق.
٣. النسق الثقافي المعلن المتنافر.

فيما يخص النسق الثقافي المتوافق الذي توافق فيه الكثير من الأدباء والكتاب مع السلطة لأسباب عدة منها سياسي وفكري وديني - مذهبي - وقومي ومصلحي، وبالخصوص الأديب الذي يتعاطى كتابة الشعر والقصة والرواية، وأصبح ينشد له بكل ما استطاع من إبداع، فالحكومة البعثية غيبت القانون نهائيا ولرئيسه مقولة (إن القانون نابض حلزوني نسحبه أو نضغطه حسب ما نرتئي)، وقد أنجب هذا النسق الكثير من الأدباء المؤمنين بالنظام أنشدوا له الشعر وكتبوا القصة والرواية التي تمجد شخصه ونظامه وفكره البعثي.

أما النسق الثقافي المنافق، وقد تجلى هذا النسق بشكل واضح لمزدوجي الشخصية الذين يظهرون محبتهم للنظام ويكتبون أحلى الشعر والسرد فيه ويخرجون بمظاهرات مؤيدة لحروبه ومناسباته، وفي جلساتهم الخاصة ينقمون عليه، وقد اندرج في النسق الكثير من الأدباء والمتعلمين وأنصاف المثقفين.

ليبقى النسق الثقافي النافر، وهذا النسق انتمى له القلة القليلة من المثقفين، فهم ما بين من انزوى في غياهب الحياة الاجتماعية والعمل، أو من فضل الهرب إلى خارج العراق، إلى الدول العربية المحيطة به مثل الأردن وسوريا ولبنان ومصر، وظل على كتمانه لنقمته على النظام خوفا من أجهزته القمعية أن تطاله، ومنهم من هاجر إلى دول أوروبا وأعلن نقمته وبدأ يكتب بالصحف والمجلات وفي مجالسه الخاصة والعامة. أما الأنساق الثقافية المعلنة للأدباء فيما بينهم فتمثل بالشكل الآتي:

١. النسق الثقافي المعلن المتصارع.
٢. النسق الثقافي المعلن المتوائم.
٣. النسق الثقافي المعلن المريض.

وقد تجلى النسق الثقافي المعلن المتصارع بين أدباء المحافظة من أهل المدينة القديمة والوافد إليها من خارجها، سواء أكان هذا الوافد من الأقضية والنواحي، أم من المحافظات الجنوبية، وأفرز مجموعة مصلحات منها (اللفو والعجمي، المدني والمعيدي). كما تمثل فيه صراع ما بين عراقيِّي الداخل بشقيهم القائم والقادم بالضد من عراقيِّي الخارج الباقين هناك أو الذين يتأرجحون بين الذهاب والإياب. أما النسق الثقافي المعلن المتوائم، والذي تمثل باختلاط بين النسق الثقافي القائم والقادم في بوتقة واحدة ضد النظام الصدامي المجرم بالخفاء من خلال الاجتماعات الشخصية عند بسطيات الكتب وفي المقاهي والتجمعات الثقافية ولكن بشكل غير صارخ. أما النسق الثقافي المعلن المريض، فهو تضخم الأنا المفخخة عند بعض الأدباء من الشعراء، الذين يشعرون بتضخمهم أمام الآخرين وتقزمهم أمام أصغر بعثي يلبس الزيتوني، وبالوقت نفسه يشعرون

أن ما يكتبونه، لا يستطيع أن يكتبه غيرهم. هذه الأنساق الثقافية المعلنة للأدباء تتحد فيما بينها بالضد من الأنساق الثقافية المعلنة الحكومية، ومرة تكون جزءًا منه، ومرة تكون متناقضة في اتخاذ موقف منه. لنخرج بالنتائج الآتية:

الاستنتاجات

١. النسق الثقافي المعلن للحكومة تبلور في فترة الثمانينات، ثم تحول إلى نسق مضطرب ومتناقض وضعيف. وكان اهتمامه بالشعر العمودي والحر والشعبي، أكثر من اهتمامه بالقصة والرواية.

٢. مَنعت حكومة البعث المقبور استيراد الكتب من خارج العراق، ومن ثم مُنعت رغما عنها من الاستيراد بعد فرض الحصار الاقتصادي.

٣. استطاع النسق الثقافي، أن يطبع من خلال مؤسساته المتمثل بـ (دار الشؤون الثقافية، دار المأمون، دار الرشيد، دار الحكمة... الخ) الكثير من أمهات الكتب والمراجع في مختلف الاختصاصات الإنسانية والعلمية، وتضاءل هذا الدور واضمحل في فترة التسعينات.

٤. تحول النسق الثقافي المعلن للحكومة من العلماني إلى الديني.

٥. النسق الثقافي المعلن للأدباء مضطرب ومتحول ومتناقض باستمرار.

٦. غياب الدور المؤسساتي للحكومة المحلية في تأسيس نسق ثقافي معلن للمحافظة، والسبب أن النظام البعثي المجرم مركزي في حكمه.

٧. عدم نضج الأدباء من الشعراء والقاصين في فترة الثمانينات، وتبلورهم في فترة التسعينات من خلال انبثاق اتحاد الأدباء والكتاب – كربلاء، ومنتدى الأدباء الشباب.

٨. عدم تبلور منتج أدبي معلن حقيقي خارج النسق الثقافي المعلن للحكومة.

٩. إن عدد دواوين الشعر والمجاميع القصصية التي صدرت على مدى أقل من نصف قرن قليلة وتدل على ضعف النسق الثقافي المعلن لأدباء وكتاب محافظة كربلاء. ولكنها أفضل من الرواية والكتب النقدية.

١٠. اتجاه أغلب الشعراء والقاصين للكتابة في الصحف والمجلات ليس للنشر الثقافي فحسب، وإنما من أجل مردود مالي يساعدهم على المعيشة.

١١. هجرة الأدباء والكتاب إلى خارج العراق والانخراط في ثقافة الدول التي أقاموا فيها والانسلاخ عن النسق الثقافي الذي يمثل محافظتهم أو يمثل العراق من خلال نقمة البعض على النسق الثقافي الحكومي المعلن.

١٢. لم يؤشر أي كتاب نقدي للنسق الثقافي المعلن باستثناء كتابين صدرا للأستاذ جاسم عاصي وهما (مساقط الضوء) و(دلالة النهر في القصة والرواية العراقية) عام ١٩٩٩م.

المجموعات الشعرية حسب الترتيب الألفبائي للعناوين

١	أبجدية الفرات	كاظم ناصر السعدي	مكتب الزوراء	كربلاء	٢٠٠٠م
٢	احتفالية الرحيل الأخير	سلام محمد عبد الحسن	مكتب الزوراء	كربلاء	٢٠٠٢م
٣	استدراك	أحمد آدم	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	١٩٩٩م
٤	ايفاعات الرعد	كفاح وتوت	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	٢٠٠١م
٥	بنفسج	صلاح حسن السيلاوي	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	١٩٩٩م
٦	بيت الشاعر	فاضل عزيز فرمان	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	١٩٩٩م
٧	بيضاء يدي	رضا الخفاجي	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	٢٠٠١م
٨	تداعيات وردة الدم	عدنان الغزالي	مكتب الزوراء	كربلاء	٢٠٠٣م
٩	تدوين الدم والرمل	علاوي كاظم كشيش	مكتب الزوراء	كربلاء	٢٠٠٠م
١٠	تدوينات الظهيرة الكربلائية	علاوي كاظم كشيش	مكتب الزوراء	كربلاء	٢٠٠١م
١١	حدود داخلية مغلقة	صلاح حسن السيلاوي	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	٢٠٠١م
١٢	خاتمة الحضور	علاوي كاظم كشيش	دار الشؤون الثقافية العامة	بغداد	١٩٩١م
١٣	خريف المآذن	باسم فرات	دار الرشيد	هولندا	٢٠٠٣م
١٤	ساعة يلمع الماس	عمار المسعودي	منشورات اللحظة	بغداد	١٩٩٦م
١٥	ساعي البريد	عقيل أبو غريب	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	١٩٩٩م

١٦	شريعة النواب	حسن النواب	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	١٩٩٩م
١٧	صاعد نحوي	عماد العبيدي	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	١٩٩٨م
١٨	عالم الملائكة	هادي الربيعي	دار الشؤون الثقافية العامة	بغداد	٢٠٠٠م
١٩	العشاء الأخير	هادي الربيعي	دار الشؤون الثقافية العامة	بغداد	١٩٩٣م
٢٠	عشبة سومرية	علاوي كاظم كشيش	مكتب الزوراء	كربلاء	٢٠٠٣م
٢١	الغيمة المقفلة	عماد العبيدي	مكتب المستقبل/ ١٩٩٦م	كربلاء	١٩٩٦م
٢٢	كون في داخلي	أحمد آدم	مكتب المستقبل	كربلاء	٢٠٠٠م
٢٣	لسان أعمى	حاتم عباس بصيله	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	٢٠٠٠م
٢٤	لشعرها وشاية الينابيع	عماد العبيدي	مكتب المستقبل	كربلاء	٢٠٠٠م
٢٥	لكم انتمي	عودة ضاحي التميمي	مكتب المستقبل	كربلاء	٢٠٠٠م
٢٦	ما تساقط بل أوشك للشمس	ماجد حاكم موجد	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	١٩٩٩م
٢٧	ما يتعطل من الاسئلة	عمار المسعودي	دار الشؤون الثقافية / سلسلة ثقافة ضد الحصار	بغداد	٢٠٠١م
٢٨	مثلما تسقط ثمرة ناضجة	صلاح حيثاني	مجموعة نصوص مستلة من شبكة الانترنيت على موقع جهات الشعر www.jehat.com -2003		
٢٩	نقود الحياة	كريم جواد	دار الجندي	دمشق	١٩٩٨م
٣٠	وبالورد ننتصر	عدنان الغزالي	مكتب الزوراء	كربلاء	٢٠٠٠م
٣١	يسعى	احمد آدم	مكتب المستقبل	كربلاء	١٩٩٧م

الهوامش

(١) سعيد الغانمي، ينابيع اللغة الأولى، الإمارات العربية، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، ٢٠٠٩م، ص ٦٣.

(٢) فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، تر، محمد نبيل نوفل وآخرون، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م، ط١٠، ص٣٦-٣٧.

(٣) ابن منظور لسان العرب، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥م، مادة نسق.

(٤) لوئيس معلوف، المنجد في اللغة، طهران، انتشارات ذوى القربي، ٢٠٠٨م، باب نسف - نسم، ص٨٠٦.

(٥) نيكلاس لومان، مدخل الى نظرية الأنساق، تر، يوسف فهمي، بغداد، منشورات الجمل، ٢٠١٠م، ص٥.

(٦) نيكلاس لومان، مدخل الى نظرية الأنساق، المصدر نفسه، ص٨.

(٧) ارين غلاسر ورا برجمان، العيش في الشوارع (انثروبولوجيا التشرد)، تر، هناء خليف غني، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠١١م، ص٣٠.

(٨) ينظر: طه حسين من تاريخ الأدب العربي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٠م.

(٩) ينظر مالك المطلبي، ذاكرة الكتابة، بغداد، ديوان المسار للترجمة والنشر، ٢٠٠٧م.

(١٠) شفيق مهدي، مقاهي بغداد، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠١٣م، ص٨١.

(١١) صباح عبد الأمير ابو دكه، مقابلة شخصية (كربلاء، ٢٦ / ٨ / ٢٠١٦م)، الساعة الثامنة مساء، سوق العلاوي، باب النجف.

(١٢) صباح عبد الأمير ابو دكه، مقابلة شخصية (كربلاء، ٢٦ / ٨ / ٢٠١٦م)، الساعة الثامنة مساء، سوق العلاوي، باب النجف.

(١٣) حسين الجبوري، مقابلة شخصية (كربلاء، ٢٧/٨/٢٠١٦م)، الساعة الخامسة عصرا، اتحاد الأدباء والكتاب، المكتبة المركزية العامة.

(*) عبد الأمير الترجمان: (١٩٠٤ ـ ١٩٩٠م) شاعر شعبي أبدع في النظم، وله عشرات القصائد التي كان يتلوها في المحافل الحسينية.

(١٥) محمود شكر الجبوري وآخرون، دليل التربية الفنية للمرحلة الثانوية، الموصل، جامعة الموصل، ١٩٩٤م، ص٢٩.

(١٦) ينظر: قاسم محمد الرجب، مذكرات قاسم محمد الرجب، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٩م.

(١٧) محمد حسن الكليدار آل طعمه، مدينة الحسين، كربلاء، مطبعة تموز، الحلقة الرابعة، ١٩٧١م، ص٣٤٩.

(١٨) الاكمكخانه: هو الاسم القديم لشارع المتنبي، واللفظ تركي مركب من أكمك أي الخبز، وخانه بمعنى مكان، فيكون معناها الحرفي بيت الخبز، واصطلاحا ما سمي فيما بعد بالأفران العسكرية، وقد شغلت هذه المؤسسة بناية قديمة شيدت على الطرز المتبعة في العهد العثماني الأخير، تتألف من فناء واسع تحيط به أروقة وحجرات عديدة، ولقد هدمت هذه البناية في السبعينات من القرن العشرين، وشيدت في أرضها سوق على هيأة قيصرية من طابقين ضمت عددا كبيرا من الحجرات والغرف والأروقة شغلتها مكتبات لبيع الكتب. قاسم محمد رجب، مذكرات قاسم محمد رجب، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٩م، هامش ص٥٨-٥٩.

(١٩) حسن عبيد عيسى، مقابلة شخصية (كربلاء، الأربعاء

١٩/ ١٠/ ٢٠١٦م)، الخامسة عصرا، نادي الكتاب، نقابة المعلمين.

(٢٠) قاسم محمد الرجب، مذكرات قاسم محمد الرجب، المصدر سابق، ص٢٢٣.

(٢١) عبد الرزاق عبد الكريم، مقابلة شخصية، كربلاء، نقابة المعلمين فرع كربلاء بتاريخ ١٧/ ٨/ ٢٠١٦.

(٢٢) اللجنة الإعلامية لاحتفالات المحافظة، كربلاء.. بين ماضيها المجيد وحاضرها المشرق، مطبعة دار الجماهير للطباعة، ١٩٨٧م، ص ١٥٧ -١٥٨

(٢٣) اللجنة الإعلامية لاحتفالات المحافظة، كربلاء.. بين ماضيها المجيد وحاضرها المشرق، مطبعة دار الجماهير للطباعة، ١٩٨٧م، ص ١٥٧ - ١٥٨

(**) الصحف: يحمل العدد الأول من كل صحيفة تاريخ صدورها ليكون بمثابة المصدر للبحث.

(***) دور الثقافة الجماهيرية: في تموز من عام ١٩٧٥ تأسست مديرية دور الثقافة الجماهيرية وفي ١/ ٨/ ١٩٨٠م تحولت إلى دائرة الإعلام الداخلي. كان الأستاذ المرحوم هادي صالح الحكيم أول من قام بإدارة المؤسسة يعاونه المرحوم السيد عدنان الدده، ثم توالى على إدارتها ممثل حزب البعث المقبور عبد اللطيف الدارمي عام ١٩٧٨ ثم آلت أخيرا إلى الأستاذ الإعلامي طارق الخفاجي في ١/ ٩/ ١٩٨٠م. بدأت الأماسي الثقافية الأسبوعية عام ١٩٧٦م وكان المساهمون الأوائل: شاكر البدري، محمد زمان، محمد علي الخفاجي، عدنان حمدان، عدنان الغزالي، سلمان آل طعمة، باسم الحمداني، عودة ضاحي التميمي، رضا الخفاجي الذي عاصر الدائرة منذ تأسيسها لغاية توقفها عن العمل عام ١٩٨٨م لكونه من موظفي المؤسسة المذكورة. في عام ١٩٧٧م وبعد انتقال المؤسسة إلى بناية جديدة توفرت فيها بعض مستلزمات إقامة الأنشطة الثقافية والفنية حدثت قفزة نوعية في فقرات البرامج منها استضافة الفنان المسرحي د. سعدي يونس ليقدم مسرحية (المجنون) للكاتب العالمي (غوغول) على قاعة المنتدى الثقافي، إضافة إلى إحياء الناقدة المصرية (صافيناز كاظم) أمسية عن تأريخ المسرح العربي، وتشجيعا لحركة المسرح الكربلائي التي كانت مزدهرة آنذاك تم الإيعاز إلى تأسيس فرقة خاصة تابعة إلى هذه المديرية أطلق عليها تسمية (فرقة المسرح الجماهيري) وتميزت بأعمال فنية مسرحية متنوعة.

(٢٦) عودة ضاحي، مقابلة شخصية (كربلاء، الأربعاء، ١٧/ ٨/ ٢٠١٦م) الساعة السادسة عصرا - نادي الكتاب، نقابة المعلمين.

(٢٧) فاضل ضامد، مقابلة شخصية (كربلاء، ٩ / ٨/ ٢٠١٦م) الساعة الخامسة عصرا - مرأب البارودي.

(٢٨) حسين إبراهيم، مقابلة شخصية، (كربلاء، ٢٨ / ٧/ ٢٠١٦م) الساعة العاشرة صباحا، محله لبيع الصحف والمجلات، منطقة المخيم.

(٢٩) حسين إبراهيم، مقابلة شخصية، (كربلاء، ١٥ / ٨/ ٢٠١٦م) الساعة العاشرة صباحا، محله لبيع الصحف والمجلات، منطقة المخيم.

(٣٠) من الطرائف لبائعي الصحف المتجولين ان أحدهم لم يتيسر له بيع الصحف كلها خلال الأسبوع ففكر مع نفسه كيف يبيعها وعند تسلُّمه الصحف (الثورة الجمهورية، الرياضي، القادسية)، هذه صحف العراق في زمن النظام السابق (بدأ برفع صوته)، اقرأ جريدة اليوم فيها طلب مواليد احتياط ثلاث مواليد ودورتين ضباط احتياط فارتبك الناس وصارت ضجة وبدأوا يشترون الصحف كلها ثم ذهب الى البيت... وفي اليوم الثاني جاء تبليغ من الأمن إلى وكيل الصحف الرئيس في كربلاء المرحوم كاظم فاضل أن احد الأشخاص من باعة الصحف قد كذب على الناس بان الحكومة قد طلبت مواليد احتياط وهذا شيء ممنوع ويحاسب

عليه، طبعا عرفه المرحوم كاظم وبعث أليه وهدده إذا مرة أخرى فعل هكذا سوف يسلمه للأمن وان المرحوم كاظم التمس مدير أمن كربلاء بترك بائع الجرائد هذا لأنه شخص مريض ولا يعرف أي شيء. حسين إبراهيم، مقابلة شخصية، (كربلاء، ١٥ / ٨/ ٢٠١٦م) الساعة العاشرة صباحا، محله لبيع الصحف والمجلات، منطقة المخيم.

(٣١) طه خضير الربيعي، مقابلة شخصية، (كربلاء، ٢ / ٨/ ٢٠١٦م)، العباسية الشرقية زقاق براغ.

(٣٢) فاضل عزيز فرمان، حسن عبيد عيسى، مقابلة شخصية (كربلاء، ٢٧/ ٧/ ٢٠١٦) م الساعة السادسة عصرا، نادي الكتاب، نقابة المعلمين.

(٣٣) احداث عايشها الباحث كشاهد عيان.

(٣٤) احداث عايشها الباحث كشاهد عيان.

(٣٥) مهدي عبد الرزاق أبو طحين، مقابلة شخصية، (كربلاء، ٢ / ٨/ ٢٠١٦م).

(٣٦) علاوي كاظم كشيش، قوة الحلم والانتماء، بحث غير منشور، جامعة كربلاء، كلية التربية، ٢٠٠٥م، محفوظ لدى الباحث.

(٣٧) علاوي كاظم كشيش، مقابلة شخصية، (كربلاء، اب، ٢٠١٦).